أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

الفن المعاصر

مجلة فصلية متخصصة تترجم الجديد فى الفنون المعاصرة والثقافة

CONTEMPORARY ART MAGAZINE- REVUE D'ART CONTEMPORAIN

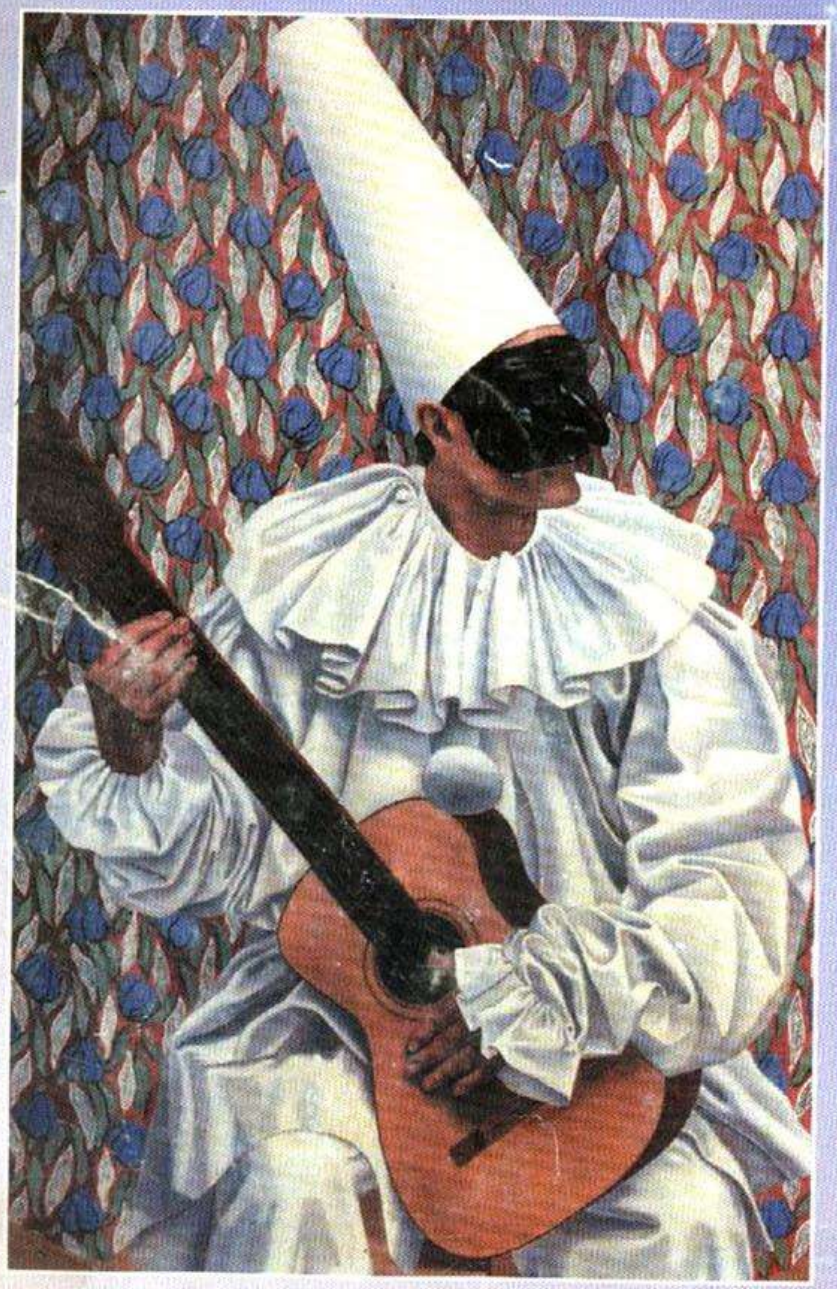

دوجلاس كيلنر
المشقفون والتكنولوچيا الجديدة
دونالد جاردنر
اعادة إختراع الوجه الانسانى فى المسرح
جيكوب وامبرج
إبداع فن تصوير المنظر
جولى فان كامب
الإنسانيات ونقد الرقص
جون ر. كوفاتش
تفكيك الثنائية الموسيقية
جورج بالوندييه
ثراء الثقافات الشعبية
مايك بيكوف
نهايه الفلسفة وازدهار الافلام
الياندرو باريكو
نص مسرحية العازف والبحر

العدد الثانى - خريف ٢٠٠٠

لوحة "بييرو العازف" (١٩٢٤) للفنان چنيو سيڤيريني (١٨٨٣ - ١٩٦٦)

الفن المعاصر

مجلة علمية محكمة

تصدرها أكاديمية الفنون

رئيس التحرير أ . د. فوزى فهمى

مدير التحرير د . وائل غالى

سكرتارية التحرير د . محمد مهران

عادل عبد الحميد

هشام عبد العزيز

مستشارو التحرير

أ . د . سمحة الخولى

أ . سعد أردش

أ . توفيق صالح

أ . د. نبيل راغب

أ . د. رتيبة الحفنى

أ . د. صلاح قنصوة

أ. صفوت كمال

هيئة التحرير

أعضاء هيئة التدريس لأقسام اللغات بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية

المحتويات

* كلمة التحرير ٦

مسرح

* إعادة قراءة مسرح أ. آرتو، ت: أ. د. نبيل راغب، مراجعة: أ. د. محمد عنانى ١١

* إعادة اختراع الوجه الإنسانى، ت: د. سحر فراج، مراجعة: د. سامى صلاح ٣٩

* عن المسرح والحقيقة، ت: أ. د. أمين الرباط، مراجعة: أ. د. عبد الحميد حسين ٧٥

سينما

* دولوز والسينما، ت: د. محمد لطفى نوفل، مراجعة: أ د. يحيى عزمى ١١٩

* نهاية الفلسفة والسينما، ت: د. محمد السيد، مراجعة: أ د. هشام أبو النصر ١٥٣

موسيقى

* التعقيد الموسيقى، ت: أ. د. حمادة إبراهيم، مراجعة: أ د. مارسيل متى ١٩٥

* تفكيك الثنائية فى الموسيقى، ت: محمد الجندى، مراجعة: د. عزة مدين ٢٠٩

رقص

* حركة الكتابة وكلمات الرقص، ت: هبة نبيل، مراجعة أ. كريمة منصور ٢٢٧

* الإنسانيات ونقد الرقص، ت: أ. د. نهاد صليحة، مراجعة أ. د. ماجدة عز ٢٤٧

فنون شعبية

* تقاليد إحدى أسر فرجينيا، ت: د. سمية مظلوم، مراجعة: أ. صفوت كمال ٢٩٥

* ثـراء الثقـافـات الشعبيـة، ت: سها يحيى نجم، مـراجعة أ. د. محمد الجوهرى ٣٢٧

فن تشكيلى

* ابداع فـن تصوير المنظـر، ت: سـالـى محمد إمام، مـراجعة: أحمد فؤاد سليم ٣٤٥

* فـلـسـفـة اللـون، ت: د. فـيـفـى فـريد، مـراجـعـة: أ. د. أحمد إبراهيم ٣٧٣

النظرية النقدية

* مـن البنيـة إلـى البلاغـة، ت: د. خـالد سـالـم، مـراجعـة: د. حسن عطية ٣٨٥

* أشـبـاح الـنـقـد، ت: أ. د. شـاكـر عـبـد الحميد، مراجعة: أ.د. نبيل راغب ٣٩٩

النظرية الثقافية

* المثقفون والتكنولوجيا الجديدة، ت: سـامـح فـكـرى، مراجعة: سامى خشبة ٤٤٧

* الـحـوار الأوروبى، ت: د. حـامـد غانـم، مـراجـعـة: أ. د. باهـر الجـوهـرى ٤٩٣

* السـيـاسـة الحضاريـة، ت: د. سهير الجمل، مراجـعـة: أ. د. حمادة إبراهيم ٥٠٥

الإبداع

* الـعـازف والبـحـر، ت: أمـانـى فـوزى حبشـى، مـراجعـة: أ. سعد أردش ٥٢١

مصطلحات

*ثقافة التعليم، ت:سامح فكرى ت: محمد الجندى، مراجعة: أ. د. صلاح قنصوه ٥٧٣

كلمة التحرير

صدر العدد الأول من "مجلة الفن المعاصر" كمجلة أكاديمية متخصصة تترجم الجديد فى الفنون والثقافة فى صيف عام ٢٠٠٠ ، فإذ بها تنفذ بعد صدورها بوقت وجيز، وسجل النقاد أن صدورها علامة لافتة فى الحركة الفنية والفكرية للتعريف بعلوم وتيارات الفنون الرفيعة عالميًا.

وأسرة المجلة تتقدم بشكرها للترحيب الذى أبداه قطاع عريض من المثقفين والمبدعين والنقاد والمهتمين بشئون الفن في الوسط الثقافى المصرى بصدور المجلة ، كما تذكر لهم بالتقدير العميق تعاونهم مع أسرة المجلة فى أداء رسالتها من خلال التنبيه الرفيع إلى اقتراحات وملاحظات وآراء طيبة تستهدف تطويرها، مثل اقتراح نقد ومحاورة الباحثين العالميين - نحاول وفق صيغة أولية أن نحققه إبتداء من هذا العدد ، ونطمح إلى الإستكمال بصيغة أفضل فى العدد القادم - وأيضًا اقتراح نشر مختلف الإبداعات الأجنبية إلى جانب الدراسات - بدأنا بالفعل فى إصدارنا الثانى تحقيق هذا الإقتراح - ثم طلب الكثيرون تحويلها من مجلة فصلية إلى شهرية حتى يتواصل القارىء مع الثقافة العالمية بشكل أقرب زمنيًا ، وهو ما يحتاج إلى جهود ضخمة ، لانخشاها ولا نجتنبها لأننا نؤمن أن ما يشق مولده يشق موته أيضًا ، ولأننا منذ صدور العدد الأول حرصنا على أن نحلم مع القراء الجادين والدارسين بأن تكون المجلة فى المستقبل

مرجعًا ومصدرًا لمن يسعى وراء التحليل الجديد والبحث الجاد فى الفنون والثقافة وباتصال فورى ودون إنقطاع زمنى يفتقد العزلة وعندئذ يستحيل الحوار، إن المجلة تدرك مسئوليتها وتحاول أن تشارك فى سد فراغ هائل فى البحث العلمى فى الفنون والثقافة فى مصر بترجمة البحوث العالمية والدراسات الأجنبية والمقالات المتعمقة من مختلف أرجاء المعمورة ومن مختلف لغات الأرض، وتدرك مسئوليتها، وتدرك كذلك أنها ليست وحدها ولن تكون وحدها، لكنها ستسعى دائمًا لأن تستنفر كل إمكاناتها لتوسع فضاء الفكر كى لا يُلجم العقل ويبقى حبيسًا ففى ذلك الخطر كل الخطر ، إذ الثقافة التى تتكفىء على نفسها تموت.

التحرير

الترجمة الدقيقة*

إن المشكلات العامة التى تثيرها الترجمات هى دوماً دقيقة للغاية حتى حين تنتمى اللغات المترجمة إلى انظمة لسانية وثقافات متقاربة مثل اللغتين اليونانية واللاتينية أو مثل لغاتنا الأوربية الحديثة، فما القول حيت تكون الثقافات متعارضة بطبيعتها أو بدرجة تطورها. غير أن العربية لغة سامية واليونانية لغة هندوأوربية ونحوهما وصيغ التعبير فيهما مختلفة جداً، ومن الصعب، بل من المستحيل أحياناً أن نطابق بينهما. ومن جهة أخري، فإن مفردات اللغتين غير متطابقة. لقد تعرفنا على اللغة العربية الشمالية فى عصور الجاهلية من خلال الشعر الذى أثارت مسألة قدمه نقاشات بين العلماء. وتظهر النصوص التى نملكها من هذا الشعر غنى كبيراً بالصور الحسية وبالنعوت قوية التعبير التى لابد أن تكون قد أثرت بعمق فى القراءة، أو المستمعين المنغمسين فى المحيط المادى والاجتماعى الذى أوحى بهذه الصور والتعابير. أما لغة القرآن فقد ظلت هى أيضاً محسوسة جداً، دون أن تصل إلى غنى هذا لاشعور وجزالته. ورغم أن المسلمين اعتبروا أن أصل هذه اللغة إلهي، فإنها تثير أمام أبحاث اللسانين وعلماء الإسلاميات أسئلة لم تتلق حتى الآن أجوبة موحدة. ومع ذلك، فمن المؤكد أن مفردات هذه اللغة، المحدودة نسبياً، لم تكن كافية للتعبير عن مفاهيم العلم والفلسفة اليونانيين. وضمن هذه الظروف، تعتبر دراسة المنهجيات التى وضعها مترجمو النصوص اليونانية الى العربية، ذات أهمية كبرى، تاريخية وفلسفية ولسانية فى الوقت نفسه.

روچيه آرنالديز

* من كتاب: مريم سلامة - كار، الترجمة فى العصر العباسي، مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها فى الترجمة، ترجمة د. نجيب غزاوي، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨، ص٣

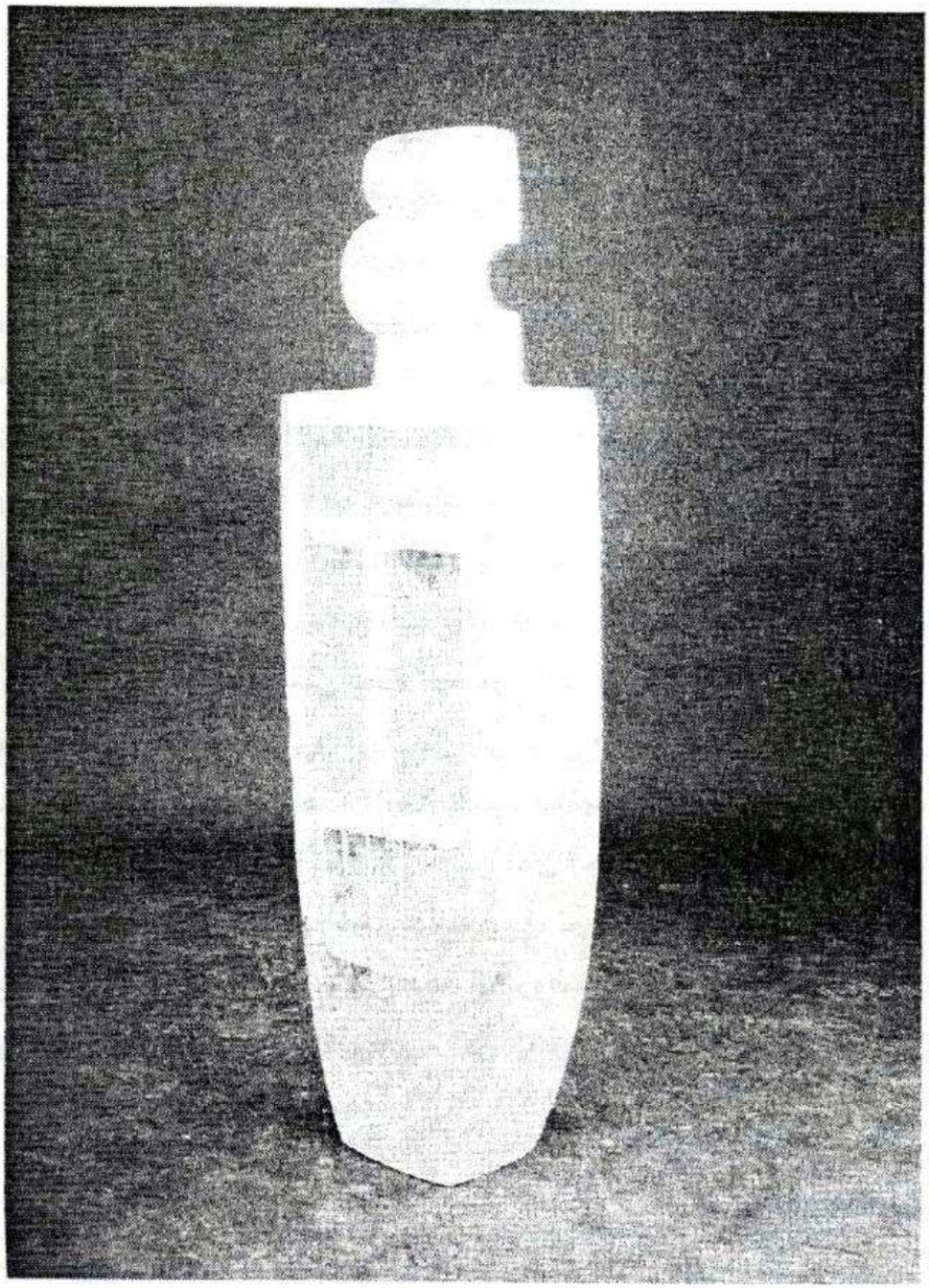

لوحة (١٩٩٧) للفنان الأندونيسى آنوسا باتي

النظرية الثقافية

يريد مثقفو التقنية في هذا العصر أن يدللوا على أنه لم يبق للغرب ثمة مشروع غير المشروع التكنولوجي أو التقني. وأصبح الإنسان على وجه العموم أو جوهر الإنسان "صانعا للآلات". وصار تاريخ المجتمع الإنساني و تطوره الحضاري هو بشكل ما تاريخ الأدوات و الآلات وتطورها و استخدامها لتيسير الحياة و تخفيف أعباء العمل عن الإنسان. بل سمت المفكرة الألمانية "حنة آرند" ذلك الإنسان الجديد باسم "الإنسان العامل" و سماه المفكر الألماني الآخر فلتر بنيامين باسم "الإنسان الصانع" للأدوات و الآلات. فقد أصبح الإنسان على وجه الإطلاق قادرا أصلا على الاستفادة من الآلات. من هنا فقد أصبحت القدرة على الصنع الخاصية الرئيسة الوحيدة التي ينفرد بها الإنسان عن بقية الكائنات. فهل يمكن لبقية ثقافات العالم أن تحافظ على مشروعات مغايرة؟ هل ثمة خط للمشروع الثقافي المصري أو العربي يتجاوز هوس التقنية الذي يحتم من جملة ما يحتمه ألا يأتيه السلب أو التغيير من خارج عناصره؟ هل يمكن لهذا المشروع أن يتجاوز فكر التقنية و أن يحوز على التقنية في الوقت نفسه بدون وهم الرخاء الاستهلاكي؟ ذلك هو السؤال الذي تتوقف عليه استراتيجية المشروع الثقافي المصري أو العربي المغاير. و هو السؤال الذي يقف وراء اختيار نقل الدراسة الإنجليزية التالية "المثقفون و التكنولوجيا الجديدة" لمؤلفها دوجلاس كالنار.

النظرية الثقافية

المثقفون والتكنولوجيا الجديدة *

تاليف : دوجلاس كيلنر * **ترجمة :** سامح فكرى **مراجعة :** سامى خشبة

يُعرَّف المثقفون ذوو الأتجاه النقدى عادة بأنهم أولئك الذين يستثمرون ما أوتوا من مهارات فى الحديث والكتابة لفضح مظالم السلطة ومفاسدها، والدفاع عن الحقيقة، والعدل، والتقدم، وغيرها من القيم الإيجابية، وكما يقول چان بول سارتر *(1974:28)* فإن «واحب المثقف هو فضح الظلم أينما وجد.» إن دائرة عمل المثقف الانتقادى الحديث كما يقول هابرماس (١٩٨٩) هى ذلك المجال الجماهيرى المتمثل فى الجدل الديمقراطى، والحوار السياسى، والكتابات والمناقشات التى تدور على صفحات الجرائد والصحف، والكتيبات والكتب. ليس كل المثقفين- بطبيعة الحال- انتقاديين، أو حتى تقدميين، ذلك أن نشوء المجتمعات الحديثة تمخض عن تقسيم العمل إلى بدنى وذهنى، ومن ثم أصبح المثقفون هم أولئك المتخصصون فى العمل الذهنى بما ينطوى عليه ذلك من إنتاج وتوزيع للأفكار والثقافة، وهم بدورهم انقسموا إلى فئتين: فئة تناهض الصيغ المجتمعية الراسخة، وأخرى تعمل على تقنين هذه الصيغ.

وهكذا أصبح لدينا مثقفون انتقاديون ومعارضون يناهضون الظلم والقهر، فى مقابل أولئك المثقفين منتجى الأيديولوچيا الذين يشرعنون

---

* هذه الترجمة العربية للبحث : INTELLECTUALS AND New Technologies
لمؤلفه : Douglas Keilner المنقول عن شبكة الإنترنت العالمية : http//:www.gsers.ucia.edu/ed25/dk/int.html.

كافة صيغ التسلط واللامساواة فى المجتمعات الحديثة والتى تتجلى على مستوى الطبقة، والعرق، والجنوسة *** *gender*، أود فى مجموعة الاستبصارات التالية مناقشة بعض التحديات التى تطرحها نظرية مابعد الحداثة على التصورات الكلاسيكية عن المثقف الانتقادى، كما أرغب فى مناقشة بعض الطرائف التى تطرح من خلالها التكنولوچيات والمجالات الجماهيرية الجديدة إمكانات جديدة للنقاش والتحاور الديمقراطيين على نحو يستدعى إعادة تعريف مفهوم المثقف. من ثم سأسعى فى هذه الدراسة إلى مناقشة بعض التغيرات التى طرأت على مفهوم مجال العامة ** *Public Sphere* وتأثير التكنولوچيات الجديدة، ومجالات الجدل العام والصراع على نحو يجعلها تطرح احتمالات جديدة تؤدى بنا إلى إعادة تعريف مفهوم المثقفين فى الحقبة الحالية.

المجال العام والمثقف

إن مفهوم يورجن هابرماس عن مجال العامة ساعد على توصيف فضاء كامل من المؤسسات والممارسات؛ وهذا الفضاء له صلة بكل من المصالح الخاصة لأولئك الأفراد الذين يعيشون فى المجتمع المدنى من جهة، وسلطة الدولة من جهة أخرى. وهكذا يتوسط مجال العامة بين دائرتى الأسرة والعمل- حيث تسود المصالح الخاصة- والدولة التى غالبًا ما تفرض صيغًا قسرية للسلطة و التسلط. إن ماوصفه هابرماس (١٩٨٩) بـ«مجال العامة البرجوازى يتكون من دوائر تشمل التجمعات العامة، والحانات، والمقاهى، والصالونات الأدبية، وقاعات الاجتماعات، وهى جميعًا ملتقيات يجتمع فيها الأفراد لمناقشة شئونهم العامة والمشتركة، ولتنظيم صفوفهم ضد كافة صيغ السلطة الاجتماعية والعامة والتى تنطوى على العسف والقهر. يساعد على تشكل مجال

العامة هذا وسائط مثل الجرائد، والصحف، والكتيبات والكتب التى تقرأ وتناقش فى الملتقيات الاجتماعية كالحانات والمقاهى. يمكن القول إذن إن هذا مجال العامة البرجوازى شكل - فضلاً عن الجامعات - هذا الحيَّز الذى تخلَّق داخله المثقف، وأصبح يؤدى وظيفته فى إطاره. من ناحية أخرى فإن ظهور الديمقراطية استدعى وجود صيغ للنقاش والجدل العام حول قضايا الساعة، وهو ما أدى بدوره إلى تحول المثقفين إلى متخصصين يكتبون فى ويتحاورون حول القضايا المهمة ذات الاهتمام المشترك.

تنقسم المجتمعات البرجوازية- بطبيعة الحال- عبر الحدود الفاصلة بين الطبقات؛ فإن الفئات الطبقية المختلفة تتمخض عن أحزاب سياسية مختلفة (ومايرتبط بها من هيئات وأيديولوچيات) فيستقطب كل حزب متخصصين فى صناعة الكلام والكتابة الذين يعرفون بالمثقفين. كذلك قامت الجماعات المقهورة بتخليق مثقفيها المتمردين ***insurgent intellectuals*** ويتباين مثقفو هذه الجماعات من ممثلى المنظمات الخاصة بالطبقة العاملة إلى ممثلى النساء- من أمثال مارى ولستون كافت- الذين يدافعون عن حقوق المرأة، إلى قادة الجماعات المقهورة بسبب اللون، أوالعرق، أو الميل الجنسى، وما إلى ذلك. إن المثقفين المتمردين طالما ناوئوا القهر، وابتدعوا من الأفعال مايمكنهم من التعامل مع مسببات هذا القهر بردم الفجوة بين الفكر والفعل، والنظرية والممارسة.

بينما ينزع المثقفون الذين يدافعون عن المجتمع القائم ويشرعنون صيغه إلى إنتاج خطابات داعمة له يحتفون من خلالها بالمجتمعات الحديثة، فإن المثقفين الانتقاديين المتمردين يتخصصون فى الرؤية النقدية النافية، وهو مايدفعهم إلى إنتاج خطابات انتقادية معارضة،ويحاولون فى بعض الحالات أن يرفدوا الخطاب بالفعل

السياسى. إلا أن العديد من المثقفين النقديين يستقلون عن كل الهيئات السياسية ويحصرون مجال نشاطهم فى النقد الدائب، ومساءلة كل شىء، وذلك من خلال الجدل والنقاش. من ناحية أخرى فإن هؤلاء المثقفين النقديين غالبًا مايتعرضون للقدح من جانب مثقفى السلطة الذين لايرون فيهم سوى حالمين سلبيين وغير فعالين، أو ناقصين وهادمين للنظام القائم.

هذا المعنى التحقيرى لمفهوم المثقف سبق إليه نابليون فى شجبه لمن أسماهم «الأيديولوچيون» ***ideologues*** الذين يفتقرون- فى نظره- أساسًا إلى الفعالية حتى لو كانوا منظرين خطرين، إلا أنهم يقبعون فى عالم الأفكار فتنقطع الصلة بينهم وبين الشئون العملية، والصالح العام (بارت ١٩٧٦). أشير أيضًا إلى تصور آخر سالب عن المثقفين باعتبارهم «أيديولوچيين» يعملون لصالح الطبقات الحاكمة،وهذا التصور شكل بدوره الرؤية الاستكارية للأيديولوچيا كما تبناها وطورها كل من ماركس وإنجلز (١٩٧٥) فى كتاب الأيديولوچيا الألمانية. لقد عرض ماركس وإنجلز بالمثقفين الذين يخدمون السلطات الحاكمة، ويوقفون أنفسهم على تقنين النظام البرجوازى القائم والدفاع عنه. من ناحية أخرى فإن ماركس وإنجلز وغيرهما ممن عبروا عن الحركة الاشتراكية الناشئة بعدهما كانوا جميعًا مثقفين يعملون فى مجال الأفكار والنقد والكتابة.

يمكن القول إذن إن المثقفين فى المجتمعات الحديثة كانت تتنازعهم المتناقضات، ومن ثم يؤدون وظائف اجتماعية متعارضة، فالمثقف النقدى فى صورته الكلاسيكية- و يمثله شخصيات مثل «أيديولوچيين» التنوير الفرنسى، وتوماس بين، وماری ولستون كرافت، وشخصيات لاحقة من قبيل هاينى، وماركس، وهوجو، ودريفوس،

ودوبوا، وسارتر، وماركيوز- يعارض علنًا الظلم والقهر، ويدافع عن العدل والمساواة، وقيم التنوير الأخرى. إن التنوير ذاته- فى حقيقة الأمر - يمثل واحدًا من أكثر الخطابات نجاحًا التى أنتجها المثقف الانتقادى، فهو خطاب وحركة تعهد للمثقفين بالوظائف الاجتماعية المحورية. من ناحية أخرى فإن المثقفين المحافظين يهاجمون التنوير والثورة الفرنسية التى تمخضت عنها، وينتجون خطابات تشرعن كل أشكال القهر كما تتجلى على مستوى الطبقة، والعرق، والجنوسة ***gender*** والتسلط الإثنى (العرقى).

سارتر والمثقف العام وتحدى مابعد الحداثة

لعل چان بول سارتر هو الذى يمدنا فى كتاباته بأكثر التصورات كشفًا ومنطقية عن التوترات التى تعتمل فى المثقف الانتقادى الحديث فى صورته الكلاسيكية، إن الحيز الذى يعمل فى إطاره المثقف النقدى - حسبما يدل چان بول سارتر - هو الكتابة والحديث داخل دائرة مجال العامة، وفضح القهر والدفاع عن العدل، وحقوق الإنسان، وغيرها من القيم. إن مهمة المثقف النقدى- فى إطار هذا النموذج الذى يطرحه سارتر - هى أن يكون شاهدًا على واقع ما، وأن يحلل، ويكشف، وينتقد الشرور الاجتماعية فى مداها الواقع. إن الكلمة هى الحيز الذى يعمل من خلاله المثقف الذى تنطوى وظيفته على سمتى النقد والنفى، ورصد الظلم وفضحه أينما وجد؛ إن سارتر نفسه- على سبيل لمثال- فضح الهوان الذى سامته فرنسا للجزائر فى الستينيات، مما أدى إلى قصف منزله، كما هاجم السياسة الأمريكية فى ڤيتنام، وانضم إلى جبهة السلام التى أقامها برتراندراسل، وغيرها من الهيئات القومية والدولية التى قامت ضد تدخلات الولايات المتحدة؛ كذلك ألغى سارتر جولة لإعطاء بعض المحاضرات فى الولايات المتحدة كانت ستدر عليه ربحًا، وكان ذلك فى

الستينيات، كما رفض جائزة نوبل للسلام للتعبير عن مناهضته للحرب.

كان سارتر - فضلاً عن ذلك - نموذجًا للمثقف العام، فقد كتب، وتحدث وشارك فى مجال العامة. كذلك أسس سارتر وحرر صحيفة اسمها العصور الحديثة؛ اشتبكت مع كافة القضايا السياسية و الاجتماعية فى وقتها، أسهم سارتر أيضًا إبان عقدى الستينيات والسبعينيات فى تأسيس ودعم سلسلة من الجرائد الراديكالية مثل "قضية الشعب" *La Cause du Peuple*، و:إنى أتهم! *J'Accuse* التى كان يبيعها فى الشوارع و"التحرير" *Liberation* التى تعد أول جريدة يومية ذات توجه يسارى، بالإضافة إلى ذلك كثيرًا ما كان سارتر يجرى لقاءات مع الصحف، والراديو، كما شارك فى أواخر حياته فى برامج تليفزيونية، بل وأسهم فى صناعة أفلام وذلك بغية نشر مواقفه السياسية. يمكن القول إن القلم بالنسبة لسارتر كان سيفه، وكان نشاطه المحبب إليه هو الكتابة سواء جاءت فى صورة مقالات أو روايات، أو مسرحيات، أو سيناريوهات أفلام، أو دراسات فلسفية؛ وكانت الكتابة هى وسيلته فى تطوير أفكاره ومواقفه السياسية.

«إن العمل الحقيقى الذى يؤديه المثقف الملتزم»- على حد قول سارتر- «هو كشف، وإظهار، وإماطة اللثام عن، وتذويب الأساطير والأصنام وإغراقها فى حمام صغير من الحامض النقدى» *(1974:375)*. إن الحامض النقدى الذى استخدمه سارتر أصبح أكثر قدرة على التذويب والإشعال فى آخر عقد من حياته، أى فى السبعينيات، وذلك أكثر من أى وقت مضى. إن المثقف الملتزم - حسبما يرى سارتر - دائمًا ما يأخذ صف الحرية، ويكافح فى سبيل توسيع مداها بالنسبة للجميع.

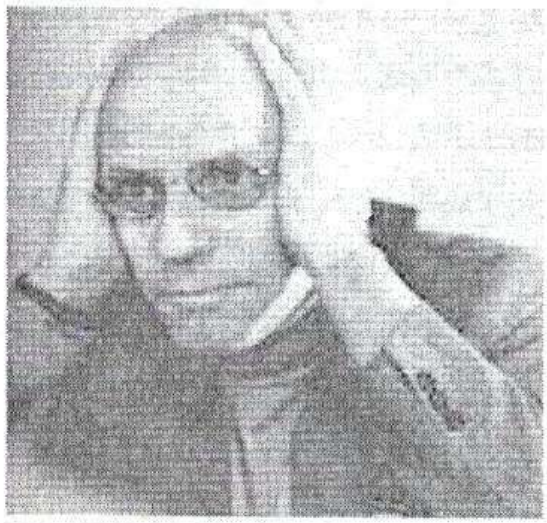

ميشيل فوكو

على الجبهة الأخرى من سارتر وتصوره عن المثقف الملتزم نجد فوكو الذى يبدى اعتراضه على سارتر باعتباره ممثلاً لنموذج المثقف العالمى (زو: الكونى) *Universal intellectual* الذى يدافع عن قيم كونية من قبيل الحقيقة والحرية، ويضطلع بمهمة التحدث بلسان الإنسانية (١٩٧٧). يرى فوكو أن هذا التصور عن المثقف هو تصور مبالغ فيه، وهو ماجعله يسعى إلى وضع تصور آخر لما أسماه المثقف النوعى *specific intellectual* الذى يأخذ صف المقهورين فى قضايا معينة، غير زاعم بأنه يتحدث بلسان المقهورين، وإنما يشارك كمثقف فى قضايا وحوارات بعينها. تمخض هذا التصور للمثقف النوعى- فضلاً عن التحول نحو حركات اجتماعية جديدة تشكل مجال السياسة المعاصرة Laclau)- (and Mouffe -1985 وتحل محل مفهوم الدولة، وفكرة السياسة الحزبية الوطنية- عن ظهور تصور جديد للسياسة مابعد الحداثية.

إن السلطة فى إطار السياسة مابعد الحداثية- متوزعة diffuse ومتموضعة local ولانجدها فى المؤسسات الكبرى macro institutions مثل مؤسسة العمل، ومؤسسة الدولة، والمؤسسة الأبوية. إن السياسة الكبرى macropolitics التى ترتبط بالمؤسسات الكبيرة مثل مؤسسة الدولة تستبدل بالسياسة الصغرى micropolitics التى يشارك فى إطارها المثقفون النوعيون فى مجالات ودوائر من قبيل الجامعة، والسجن والمستشفى، أو يدافعون عن

حقوق جماعات مقهورة معينة مثل الأقليات العرقية أو الجنسية. ومن ثم فإن كلا من النظريات والسياسة الكوكبية والقومية يتم استبعادها لصالح نظريات وسياسة أكثر تموضعًا Local، وهو ما يؤثر بالضرورة على نظرتنا إلى وظيفة المثقفين، والخطاب الذى يستخدمونه، حيث أصبحا أكثر تحديدًا ومشروطية Provisional واعتدالاً مما هى الحال فى نظرية وسياسة الحداثة؛ لقد أصبح المثقفون خاضعون للصراعات المتموضعة Local أكثر من المشروعات التى تغالى فى طموحها مثل مشروع التحرر، ومشروع التحول الاجتماعى.

أتصور أن هذا التقسيم الثنائى بين السياسة والنظرية الكبيرتين، وتلكما الصغيرتين هو تقسيم إشكالى مثالى مثل التقسيم بين الالتزام المطلق بنظرية الحداثة، والالتزام المطلق بنظرية مابعد الحداثة (Best and Kellner 1991)- مثالنا على ذلك هو أحداث ١٩٨٩ التى شهدت سقوط الشيوعية على نحو تم فيه المزج بين السياسة الصغرى، والسياسة الكبرى فى الهجمات الشعبية على السلطة الشيوعية القهرية، حيث تم الجمع بين الصراعات المتموضعة والمحددة كما حدثت فى قاعات الاتحاد، والجامعات، والكنائس، والجماعات الصغيرة من جهة، والمظاهرات الشعبية التى تفرض على السلطة إصلاحات ديمقراطية، بل وتغييرات ثورية، وعصيانًا جماهيريًا مسلحًا كما كانت الحال فى رومانيا. وقد لعب المثقفون أدوارًا متنوعة فى هذه الصراعات، واستخدموا خطابات متباينة تتراوح بين المتموضع والنوعى إلى القومى والعام.

وهكذا إن كنت أرى أن نظرية مابعد الحداثة تنطوى على نقد لا يمكن إغفاله لبعض الأوهام والأيديولوچيات التى يتبناها المثقف الحديث فى صورته التقليدية، فإننى أرى أيضًا أن هذه النظرية ذاتها تبالغ فى رفضها للدور الكلاسيكى الذى يضطلع به

المثقف النقدى، وأن جانبًا من التصور الحديث للمثقف النقدى والمعارض له جدواه وفائدته. فى حقيقة الأمر أجدنى رافضًا لذلك التقسيم بين المثقف الخاص Particular والمثقف الكونى universal، وأتبنى عوضًا عن ذلك التقسيم مفهومًا معياريًا normative للمثقف العام public. إن المثقف العام- فى إطار هذا التصور- يشارك فى مجال العامة ويناهض الأكاذيب والقهر، والظلم، ويدافع عن الحقوق والحرية والديمقراطية على نحو ما نجده عند المثقف الملتزم كما تصوره سارتر. من ناحية أخرى فإن المثقف العام الديمقراطى لا يتحدث بلسان الآخرين، ولا يلغى أو يحتكر وظيفة التعبير عن الحقيقة، وإنما - ببساطة- يشارك فى النقاش والجدل، مدافعًا عن أفكار وقيم ومعايير أو مبادىء بعينها قد تكون خاصة أو كونية. وإن كانت هذه المبادىء كونية مثل حقوق الإنسان إلا أنها تتموضع داخل سياق، ومن ثم فهى مشروطية Provisional، ومعيارية، ولا تصلح لكل زمان. إن «الحقوق»- فى واقع الأمر- هى نتاج للصراعات الاجتماعية، ومن ثم فهى تكوينات اجتماعية Social Constructs وليست كليات أصلية أو طبيعية natural كما يزعم منظرو الحقوق الطبيعية. من ناحية أخرى يمكن لهذه الحقوق أن تتعمم وأن تتوسع وتتخذ صيغًا كونية كما هى الحال- على سبيل المثال- فى ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذى يقر بوجوب أن يتمتع كل الأفراد بحقوق معينة، على الأقل فى هذا العالم، وفى هذه اللحظة الزمنية بناء على ذلك يمكن القول إننا لسنا بحاجة إلى كل المفاهيم المتعلقة بالمثقف الكونى للتأكيد على تصورنا عن المثقف العام أو الديمقراطى فى اللحظة الآنية. قد يسعى المثقفون إلى شغل وضعية مفارقة للمصالح المحددة والمتعينة، كما قد يسعون إلى شغل وضعية مشتركة يوجهون من خلالها اهتمامهم إلى المصالح العامة، إن المثقفين لا يجب أن

يتخلوا عن حق التحدث نيابة عن الجميع، وفى الوقت ذاته يجب أن يكونوا واعين بأنهم يتحدثون انطلاقًا من وضعية معينة لها تحيزاتها ومحدداتها الخاصة. فضلاً عن ذلك على المثقفين أن يتعلموا أن يتجاوزوا أطرهم المرجعية الخاصة ساعين إلى أطر أكثر عمومية، ومن ثم يتعلموا كيف يشغلون وضعية الآخر، وأن يتعاطفوا مع وضعية الجماعات المهمشة والمقهورة وأن يتعلموا منها، وأن يدعموها فى صراعاتها، إن جزءًا من واجب المثقف الديمقراطى هى أن يداوم على نقد الذات، وأن يطور قدرته على التأمل الذاتى، والتحليل النقدى الذاتى، فضلاً عن تطوير قدرته على استنطاق الذات.

فى القسم التالى سأحاول أن أطرح رؤية مفادها أن سارتر- وليس فوكو أو نظرية مابعد الحداثة- هو الذى يمدنا بأكثر التصورات نفاذًا عن دور المثقف فى المجتمعات الحديثة، وأكثرها انتقادًا لنقائص المثقفين التقليديين.

ليوناردو داڤينشى

وفى الأقسام الأخيرة من هذه الدراسة أسعى- انطلاقًا من تصور سارتر- إلى توسيع تخوم الدور الذى يضطلع به المثقف فى زمننا.

تصور سارتر عن المثقف:

لم يلحظ كثيرون أن إشكالية تحديد طبيعة ووظيفة المثقف كانت فكرة رئيسية فى فلسفة سارتر، كما لم يلحظوا أنه أعاد صياغة مفهوم المثقف الملتزم فى السبعينيات إبان آخر عقد

من نشاطه السياسى والثقافى. قدم سارتر عام ١٩٦٦ فى اليابان سلسلة من المحاضرات طور فيها على نحو دال تصوره عن المثقف. جمعت هذه المحاضرات فى مقال بعنوان «دفاع عن المثقفين» استهلها بالسؤال:«ما المثقف؟» What is an intellectual? (1975:229ff). ويلحظ سارتر فى هذا المقال أن المثقفين يتأرجحون بين وظيفتين أحدهما محافظة Conservative والأخرى انتقادية؛ فمن جهة عادة ماكان يعهد إلى المثقفين بمهمة حفظ الثقافة ونقلها، وهو ما يؤدى بهم غالبًا إلى تقنين، وترسيخ الأيديولوچيات السائدة وخدمة المصالح التى تدعم المجتمع القائم، يرى سارتر أن المثقفين فى المجتمع الحالى أصبحوا- على نحو متزايد- «تقنيين متخصصين فى المعرفة العملية»، وهم بذلك يؤدون وظيفة التكنوقراط الذين يبتدعون الوسائط الفعالة التى من شأنها أن تحقق غايات المجتمع. على هذا النحو يؤدى المثقفون دورًا نافعا instrumental يناطون من خلاله بمهمة توفير الوسائط والأفكار والتكنولوچيات، وكل ما من شأنه أن يدعم ويرسخ المجتمع الحالى.

لكن على الرغم من أن المثقفين يؤدون هذه الوظائف الاجتماعية المحورية إلا أن السلطات غالبًا ما تنظر إليهم بعين الارتياب، ذلك أن النظرة الغالبة إلى المثقفين تجعل منهم شخصيات يضطلعون دائمًا بمهمتى النقد والنفى، دائمًا وأبدًا يصعبون الأمور على السلطات من خلال بذر بذور النقد، والخروج على السائد، وأحيانًا الهدم. من ثم ينتقد المثقف باعتباره «شخصًا يتدخل فيما لا يعنيه زاعمًا أنه يسائل المسلَّم به من الحقائق، والمقبول من السلوك» (1975:330).

إن استعمال كلمة «المثقف» على نحو يكاد يشى ببعض الازدراء يرجع- كما يرى سارتر- إلى حادثة دريفوس Dreyfus. فى الرابع عشر من يونيو

١٨٩٨ نشر «مانيفستو المثقفين» فى جريدة الفجر L'Aurore الفرنسية، وهو ما أسبغ على لفظة «مثقف» فى فرنسا تضمينات تنطوى على معانى النقد والنفى، حيث ارتبط اللفظان باليسار. لقد وصف المدافعون عن دريفوس الذين تحدوا اتهامات المحكمة العسكرية الفرنسية لـ «دريفوس»، وأكدوا براءته- وصف هؤلاء بأنهم يتدخلون فى مجال ليسوا أكفاء للتدخل فيه (1975:230) وهكذا تأسست النظرة إلى المثقفين باعتبارهم متطفلين مزعجين يتدخلون فيما يتجاوز قدراتهم وكفاءاتهم، ومن ثم يشكلون عائقًا لبناء مجتمع مستقر ومنظم.

يرى سارتر أن ثمة مفارقة ساخرة فى اتهام المثقفين بـ «تضليل الناس» ذلك أن المثقفين فى اللحظة التى يهجرون فيها النزعة الثقافية المحافظة و خدمة النظام يلحق بهم الضعف، ذلك أنهم يموضعون أنفسهم خارج إطار المجتمع القائم بل يناهضونه دونما سند من سلطة أو دعم شعبى فى العديد من الحالات. ويرى سارتر أن هذا العجز الاجتماعى- السياسى للمثقف النقدى يفسر لنا نزوع المثقف- على نحو تقليدى- إلى النزعة الأخلاقية *Moralism* والمثالية *(1975:229)*.

فى دراسة لسلسلة نسب *genealogy* المثقف الحديث يصف سارتر التطور الذى انتهى بنا إلى المثقفين كما نعرفهم الآن؛ وهو يبدأ هذه السلسلة بالحديث عن النظام التراتبى لرجال الدين فى العصور الوسطى، ثم يربط- بعد ذلك- بين صعود الانتلجنتسيا البرجوازية، وانتصار الرأسمالية، والطبقة البرجوازية (1975:232-237). يحتاج كل مجتمع إلى أيديولوچيات تمكنه من تقنين علاقاته الاجتماعية، وصيغ التسلط فيه، ومن ثم يحتاج إلى تفريخ مثقفين ينتجون هذه الأيديولوچيات ويزودون عنها ويرسون دعائمها. من ناحية أخرى فإن تقسيم

العمل فى المجتمع الحديث يخلق وظائف وأدواراً جديدة للمثقفين ويسمح بظهور «أخصائيين فى المعرفة العملية» (1975:237)، وهو مايحول المثقفين إلى جماعة اجتماعية نوعية.

يشغل المثقفون فى المجتمع المعاصر- حسبما يزعم سارتر- مكانة ثانوية غريبة وملتبسة داخل التراتب الاجتماعى؛ فالنخبة الحاكمة تحدد أولويات المجتمع، فتخصص أموالاً محددة للتعليم، والقانون، والصحة، والجيش، وبرامج التشييد، والبرامج العامة المختلفة، وإذ تفعل هذه النخبة ذلك فإنها تحدد عدد الوظائف، ونوعية المناصب التى ستوزع على المثقفين، وهكذا فإن منصب المثقف وراتبه مشروط بالنخب الحاكمة. وفى المجتمعات الرأسمالية «تحدد الطبقة الحاكمة عدد التقنيين المتخصصين فى المعرفة العملية بما يتناسب ومقتضيات الربح التى تشكل أقصى غاياتها» (1975:237). تتطلب صناعات الثقافة فى الوقت الحاضر - على سبيل المثال- أعدادًا متزايدة من علماء النفس التطبيقيين، وكتاب المادة الإعلانية، والإحصائيين Statisticians، ومشغلى الكمبيوتر، والمديرين، وما إلى ذلك. إن تزايد التخصص، والضرورات التكنولوجية التى تفرضها الرأسمالية المعاصرة يتطلب تزايدًا موازيًا فى أعداد التقنيين، والعلماء، ومسئولى الدعاية، كما يتطلب من الجهة المقابلة أعدادًا أقل من الفلاسفة، والمؤرخين، والعاملين فى مجال الإنسانيات. وهكذا يخضع المثقفون- مثلهم فى ذلك مثل كل فرد، وكل شىء- لقوانين التراكم الرأسمالى، وإن كانوا هم غالبًا آخر من يدرك ذلك معتقدين أنهم يعملون داخل دائرة تعلو فوق الاقتصاد والمصالح المادية. وهكذا غالبًا مايكون المثقفون خدامًا سذجًا لرأس المال، حتى لو كانوا لايخدمونه باختيارهم الشخصى. يتشكل المثقفون ويتلقون تعليمهم داخل نظام يقدم مبدأى الانتقاء Selective والتنافس

Competitve، وهو نظام يحاول أن يكرههم على قبول قيمه وأيديولوچياته حتى يقوموا بدورهم بالترويج لها، ويعلمهم أن يتحولوا إلى أخصائيين بحثيين، وحراسًا للتراث قيمين عليه. وهكذا ينحصر الدور الذى يناط بهؤلاء المثقفين فى نقل القيم التقليدية ومهاجمة القيم المتمردة Subversive: "إن المثقفين على هذا المستوى يصبحون وكلاء لعملية تحديد أيديولوچى ideological particularizatror، وهى عملية أحيانًا ما تكشف عن نفسها بشكل صريح (كما هى الحال فى النزعة القومية العدائية التى نجدها عند منظرى النازية) وأحيانًا ما تخفى نفسها (كما هى الحال فى النزعة الإنسانية الهيومانية الليبرالية بكونيتها الزائفة» (1975:238).

إننا هنا أمام تناقض يستوجب الفحص، فالمثقفون من الناحية النظرية- ووفقًا لهذا الطرح- هم «تقنيون متخصصون فى المعرفة

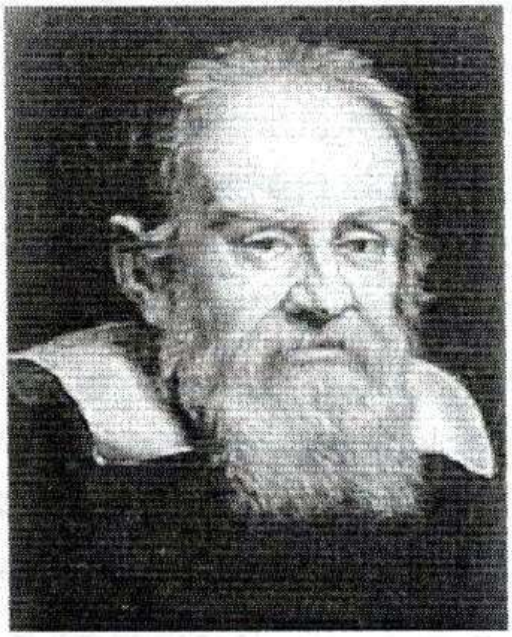

جاليليو

العملية» يطورون تقنيات يستخدمها الجميع لصالح الجميع، أى أن الطب، والقانون، والفيزياء، والفلسفة، والفن، وغيرها يجب أن تعود بالنفع على الناس كلهم، فهى جميعًا بمثابة سلع وقيم عامة. إلا أن المعرفة والتقنيات فى المجتمع الطبقى لا توظف لصالح الجميع، فالأثرياء وحدهم الذين ينتمون إلى طبقة معينة هم الذين يمكنهم أن يدفعوا مقابل الرعاية الطبية الفعالة، وأن يوفروا نفقات أكفأ المحامين، وأفضل الخدمات السياحية،

وما إلى ذلك. إن الذين يتمتعون بمستوى تعليمى معين هم وحدهم القادرون على قراءة الفلسفة، وتذوق الفن الحديث، كذلك فإن الذين لديهم قدر معين من وقت الفراغ هم وحدهم الذين يستمتعون بالثقافة، وهكذا نجد أن جماعات وأفرادا بعينهم هم الذين يحتكرون المعرفة والتقنيات التى ينتجها المثقف، وهؤلاء يوظفون المنتج الذى يقدمه المثقف فى زيادة وتوسيع مدى ما يحوزونه من سيادة وامتيازات.

وهكذا ينشأ التناقض بين عمومية عمل المثقف -الذى يفترض أنه يهدف إلى السعى وراء الحقيقة الكلية، وصالح الجميع- وخصوصية المصالح التى يخدمها. إن المثقف الذى يعى هذا التناقض يرى نفسه مجرد أداة للطبقة الحاكمة (وبذلك يتحول- بشكل غير مباشر- إلى مصدر لقهر الطبقة العاملة). إن المثقف بانفصاله عن الطبقات العاملة وتخديمه على الطبقات الحاكمة ليس إلا «سمسارا ووسيطًا، وفردًا من أفراد الطبقة الوسطى» (1975:239). وهكذا يحاط المثقف بسلسلة من المتناقضات التى فرضها عليه المجتمع ونظامه التعليمى، وهى ما تحتاج منا إلى إمعان النظر فيها.

يتلقى المثقف تعليمًا ذا طابع إنسانى هيومانى humanist يقوم على مبدأ المساواة بين الناس، وأن الحرية، والعدالة، وحقوق الإنسان هى الدائرة التى تسع كل البشر إلا أن المثقف ذاته هو مثال حى على عدم وجود المساواة بين الأفراد، فالمثقفون يتميزون عن طبقات أخرى صغيرة لم تتلق القدر الكافى من التعليم، ولم تحصل على مهارات ثقافية معينة تمنحها وضعية متميزة نسبيًا. من ناحية أخرى يجد المثقفون أنفسهم أدنى مرتبة من الطبقات الحاكمة التى تحتكر الثروة والسلطة على نحو يختزل المثقفين إلى مجرد وظائف أداتية تابعة. وهكذا يجد المثقف نفسه فى وضع يمكنه من رؤية مظاهر اللامساواة فى المجتمع فضلاً عن

التناقضات التى يفرضها المجتمع الطبقى على الطبقات الدنيا. يعانى المثقف - على هذا النحو - تناقضًا بين الأيديولوچية الإنسانية الهيومانية التى تعتمد مبدأ المساواة، ومجتمع لا إنسانى لاهيومانى inhumanism يقوم على مبدأ اللامساواة.

فضلاً عن ذلك فإن المثقف ينزع إلى الطابع الكونى universalist بمقتضى وظيفته وتعليمه. كذلك فإن العلوم والمعارف التى ينتجها المثقف تتسم بالكونية فى مظهرها، كما أنها تهدف نظريًا إلى غايات كونية وإنسانية. إلا أن المثقف غالبًا مايكتشف أن معرفته وتقنياته التى ينتجها تنطوى على خصوصية particularist خفية، فهى (أى المعرفة والتقنيات) تابعة لغايات الدولة، والنخب الحاكمة، والشركات الكبرى، والقوى الاجتماعية الأخرى. كما قد يدرك المثقفون أن أفكارهم وأبحاثهم توظفها الحكومة، والشركات الكبرى، والمؤسسة العسكرية لأغراض تجافى تمامًا غاياتهم وقيمهم الهيومانية: « فى هذه اللحظة عينها من عملهم البحثى يكتشف المثقفون أنهم متورطون فى حالة اغتراب، إذ يعون أنهم مجرد أدوات للوصول إلى غايات غريبة عنهم، وليس مسموحًا لهم مساءلتها» (Sartre197:240).

لنأخذ مثالاً لباحث فى مجال الطب يكتشف علاجًا لمرض السرطان، ولكنه يجد صعوبة فى تسويق هذا العلاج بسبب مصالح طبية- صيدلانية خاصة تقف دون ترويج هذا العلاج وتحاصره؛ أو الباحث فى مجال الفيزياء النووية الذى قد يكتشف أن بحثه يستخدم فى عمليات إبادة عرقية من خلال حملات تصفية، أو عالم النفس الذى قد يجد بحثًا له حوّل الحافز الإنسانى مستغلاً من جانب المشتغلين بمجال الإعلانات أو السياسيين بغية التحكم فى العامة، أو عالم الاجتماع الذى يستغل عمله كوسيلة للسيطرة الاجتماعية. وهكذا يجبر المثقف على معاناة التناقض بين قيمه الهيومانية (الإنسانية) والغايات

غير الإنسانية للمجتمع الذى يستغل هذه القيم.

هناك تناقض آخر ينشأ من حقيقة مفادها أن المثقفين- بمقتضى تأهيلهم - هم فئة مستقلة يجلون قيم الحرية، والاستقلالية، والبحث الحر، والسعى وراء الحقيقة، وهى جميعًا قيم لازمة لنوعية التعليم الذى يتلقاه المثقفون، والعمل الذى يؤدونه، على النقيض من ذلك نجد المثقفين فى المجتمع الرأسمالى المتأخر وهم يعتمدون بشكل متزايد على الدولة، والمؤسسات التجارية الخاصة لكسب عيشهم فى مجتمع محكوم بقيم الربح، والندرة، والتنافس. وهكذا يتجلى التناقض بين روح البحث الحر والمستقل اللازم للتقدم الثقافى والاجتماعى من جهة وتبعية المثقف، ووقوعه تحت سيطرة القوى الحاكمة من جهة أخرى.

إن المثقف إذ تتنازعه هذه المتناقضات وماتنطوى عليه من اغتراب وقهر غالبًا ما يصبح كائنًا معاندًا، وناقدًا، ومتمردًا؛ ومثل هذا الكائن المحرون تنظر إليه السلطات بعين الارتياب (Sartre1975:243). إن السلطات تجد نفسها مضطرة فى لحظة ما إلى مداعبة مثقفيها الذين يؤدون وظيفة اجتماعية لاغنى عنها، ولكنها تضطر أيضًا إلى إبقائهم تحت المراقبة اللصيقة، كما تحاول أن تتحكم فى بحثهم والخطاب الذى ينتجونه. كذلك تحاول السلطات أن تفرض على مثقفيها أيديولوچيا تتدثر بقيم الكونية، والحرية، والوفرة والتقدم، وهى بذلك تعطيهم انطباعًا بأن عملهم يخدم غايات كونية نافعة.

تحاول هذه السلطات أيضًا أن تعصب عيون مثقفيها عن الصراع الطبقى، والفقر، والقهر، ومظاهر اللامساواة التى يعمل المجتمع على إدامتها (1975:241). وإذا ما نجح المثقفون فى تجاوز هذه التعمية وإدراك هذه الأمور فإنهم فى هذه الحالة يخضعون للتأديب والعقاب، وفقد رواتبهم ووظائفهم، وربما ما هو

أسوأ من ذلك. «وهكذا يصبح الباحث فى الوقت ذاته لاغنى عنه، وموضع شبهة بالنسبة للطبقة الحاكمة. إن الباحث لايعجز عن إدراك هذا الارتياب وتمثله، كما لايعجز عن أن يرى نفسه موضع ارتياب منذ البداية» (1975:244).

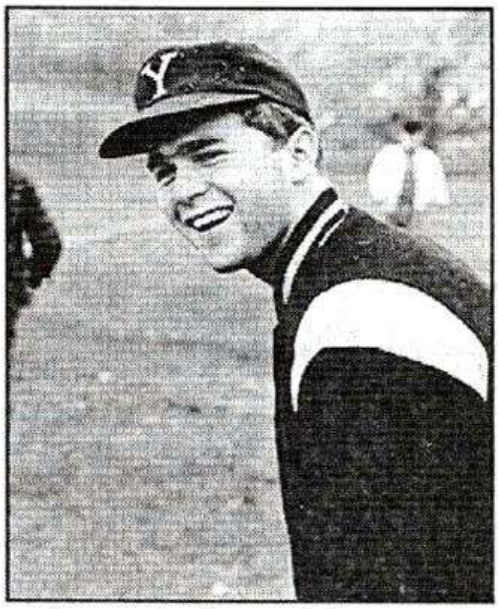

الرئيس بوش فى المدرسة

بإمكان المثقفين- تلك «الكائنات فى وضع تناقض «beings-in-contradiction» - أن تتصرف إزاء هذا الوضع المتناقض بإحدى طريقتين؛ فيمكنهم أن يمتثلوا للسلطات ويخضعوا لها، ويقبلوا الأيديولوچيات السائدة، ويمكنهم أن يمارسوا الرقابة الذاتية، ويتكيفوا فيصبحوا كائنات لا سياسية، أى مذعنة: «فى هذه الحالة يمكن للحكام أن يشيروا إلى شخص- والرضا يملؤهم- قائلين «إنه ليس بمثقف» (Sarre 1975:244). من الناحية الأخرى، إذا أصبح هذا التقنى المتخصص فى المعرفة العملية واعيًا بالتناقضات بين اصطفائية الأيديولوچيا السائدة والمصالح التى تخدمها من جهة، وما يتبناه هذا التقنى من أيديولوچيا إنسانية هيومانية، وما تنطوى عليه من غايات كونية، وإذا ما رفض المثقف أن يكون وكيلاً للطبقة الحاكمة، وإذا اكتشف أن الغايات والحكام الذين يخدمهم لايمكن تقبلهم، وإذا ما وعى المثقفون جميعًا افتقارهم إلى استقلال حقيقى فإن المثقف فى هذه اللحظة يستحيل «مسخًا» «يهتم بما يعنيه»، وفى الوقت ذاته يشير إليه الآخرون باعتباره

شخصًا يتدخل فيما لايعنيه (1975:244). هكذا يصبح المثقف- حسبما يرى سارتر- كائنًا يستبصر التناقضات الخاصة به، وتلك الخاصة بالمجتمع، و يتمثل هذه التناقضات جميعها ويسعى إلى حلها. ويعنى ذلك أن المثقف الأصيل لابد وأن يكون معارضًا، ونقديًا، ونافيًا. إن المثقف النقدى يعارض الأيديولوچيا الحاكمة بروح يحدوها السعى إلى الحقيقة النظرية والعملية.

وعند سارتر، يمكن أن المثقف بهذا الشكل، كائنا يبصر تناقضاته هو الخاصة، وتناقضات المجتمع أيضا؛ كائنا سكنته تلك المتناقضات وتوغل هو بداخلها ويسعى إلى حلها.

كذلك يعارض المثقف النقدى ماينطوى عليه المجتمع من ممارسات لا إنسانية، ولامساواة، وانعدام الحرية مدافعًا عن الإنسانية، والمساواة، والحرية، وغيرها من القيم الإيجابية. يكشف المثقف النقدى عن زيف الأيديولوچيا السائدة يدفعه فى ذلك الحقيقة وحدها، وهو ما يعنى بالنسبة لسارتر أن يميط المثقف النقدى اللثام عن «التناقضات الجوهرية التى ينطوى عليها المجتمع: أى الصراع بين الطبقات، وداخل الطبقة السائدة ذاتها، والصراع العضوى بين الحقيقة التى تحتاجها الطبقة السائدة لإنجاز أهدافها من جهة، والأساطير والقيم، والتقاليد التى تسعى تلك الطبقة إلى بثها فى الطبقات الأخرى حتى تضمن لنفسها الهيمنة من جهة أخرى» (Sartre1975:246).

إن سعى المثقف وراء المعرفة وما هو شامل عام- حسبما يرى سارتر- لايكشف إلا عن عدم وجود لا هذا الشمول العام ولا الإنسانية، كما يكشف هذا السعى أيضًا عن أننا لم نحقق بعد مجتمع المساواة والحرية، ومجتمع الإنسانية، وأن الإنسان غير المغترب الذى يتمتع بكامل إنسانيته لم يوجد بعد. وهكذا يقع اختيار المثقف الأصيل على مغالبة هذه التناقضات وتلك الاغترابات التى ينطوى عليها

مجتمعه، وذلك بغية إيجاد مجتمع أكثر إنسانية. إن المثقف- فى إطار الرؤية التى يطرحها سارتر - يسعى سعيًا حثيثًا نحو تحقيق الذات العملية (أى الحرة، وكاملة السيادة)، كما يسعى إلى أكتشاف المبادىء التى تمكن المجتمع من تولد هذه الذات» (1975:250).

أضحى سارتر- إبان الستينيات- غير راضٍ عن هذا التصور للمثقف النقدى، وهو ما جعله يشرع فى تطوير عدد من المفاهيم الخاصة بما أسماه المثقف الثورى revolutionary الذى ينحاز للثورة. وقد أدت هذه المفاهيم بسارتر إلى اقتراح تذويب المثقفين داخل صفوف الجماهير (انظر Sartre 1970,1971,1974، وقد نوقش ذلك فى Kellner 1974-75). إننا إذ نعيد النظر فى مغالاة سارتر فى توجهه اليسارى نجده يتسم بالطرافة، وينزع إلى اليوطوبية، وذلك بعد عقدين من الحكم المحافظ فى تلك الأنظمة التى أسمت نفسها الديمقراطيات الرأسمالية. إن مسعاى فى بقية هذا المقال هو الاشتغال على مفهوم سارتر عن المثقف النقدى كما طوره فى مقاله المعنون «دفاع عن المثقفين»، ثم طرح وجهة نظرى حول نمط جديد من المثقفين يشارك فى المجالات العامة ويستخدم التكنولوچيات الجديدة فى وسائل الاتصال المتغيرة بسرعة، وفى مجتمعات الكمبيوتر التى نشهدها فى اللحظة الحاضرة.

تكنولوچيات جديدة، ومجالات عامة جديدة، ومثقفون جدد

إن مهمة المثقف كما يرى سارتر هى النقد والنفى. من ناحية أخرى يتطلب المشروع النقدى وعيًا بالقيم والغايات، والقدرة على رؤية ورصد القهر، والظلم، وابتداع سبل مناهضتهما. إن أطروحتى فى هذا القسم من المقال هى أن المثقف العام إن كان لابد له أن يضطلع بوظائف وأنشطة جديدة فى اللحظة الحاضرة، فإن القدرات والرؤية النقدية للمثقفين النقديين الكلاسيكيين لازالت مطابقة

لمقتضى الحال، ومن ثم سأحاول فى طرحى أن أبنى على نماذج الماضى بدلاً من استبعادها كما هى الحال فى بعض أنماط نظرية مابعد الحداثة.

يمكن القول إنه لم تكن هناك رابطة مهمة وواضحة- إلى حد ما - بين المثقف الكلاسيكى والتكنولوچيا. مما لاشك فيه أن المثقفين- خصوصًا العلماء منهم مثل ليوناردودى ڤينشى، أو جاليليو، أو داروين- تعاملوا مع التكنولوچيا، بل اهتمت جماعات كاملة- مثل الجمعية الملكية البريطانية- بالتكنولوچيا، وكانت فى أغلبها تتشكل من مخترعين. كذلك استعمل بعض المثقفين ماكينات الطباعة، وكان بعضهم يمتهن هذه المهنة؛ أيضًا فإن العديد من المثقفين المعروفين فى القرن العشرين- وليس كلهم - كان يستخدم الآلة الكاتبة وإن كنت لا أعرف شيئًا عن دراسة كبيرة حاولت استكناه العلاقة بين المثقف والآلة الكاتبة باعتبارها وسيلة تكنولوچية. ولكن يبقى القول إن المثقف الكلاسيكى لم يكن مضطرًا لتعاطى أى نمط من أنماط التكنولوچيا، ومن ثم لم يكن للمثقفين أية علاقة حميمة بالتكنولوچيا.

الفكرة التى أود طرحها الآن هى أن المجتمعات المعاصرة التى تتعاطى التكنولوچيا المتقدمة تشهد توسعًا ملحوظًا فى مجال العامة، وهو مايعنى إعادة تعريف هذا المجال؛ من ناحية أخرى فإن هذه التطورات فى مجال العامة- التى ترتبط أساسًا بوسائط الاتصال، وتكنولوچيات الكمبيوتر- تستلزم إعادة صياغة وتوسيع مفهوم المثقف النقدى أو الملتزم. فى بواكير هذا القرن استبصر كل من بريخت Brecht وبنيامين Benjamin الإمكانات الثورية التى تنطوى عليها تكنولوچيات جديدة مثل السينما والإذاعة، وحثا المثقفين الراديكاليين على تمثل هذه القوى الإنتاجية الجديدة، و«إعادة توظيفها» وتحويلها إلى أدوات لـ«إشاعة الديمقراطية» democratize و «تثوير»

revolutionize المجتمع كذلك قدم سارتر بعض أنشطته من خلال الإذاعة والمسلسلات التليفزيونية وأكد على «ضرورة تعامل الكتاب الملتزمين مع محطات الإذاعة، وفنون السينما» (أنظر Sartre1974:177 و177-180 للاطلاع على الحلقات الإذاعية التى قدمها سارتر تحت عنوان «الأزمنة الحديثة»).

كانت الإذاعة والتليفزيون وغيرهما من وسائل الاتصال الألكترونية- فيما مضى- تكاد تكون مغلقة أمام الأصوات النقدية والمعارضة وذلك فى كل من النظم التى تسيطر عليها الحكومة وفى المؤسسات الخاصة. على الرغم من ذلك نجد أن المحطات التليفزيونية غير السلطوية، والإذاعات المحلية، والمعارضة تتيح الفرصة للمثقفين النقديين لاستخدام هذه التكنولوجيات والإسهام من خلالها. وقد ظللت- على المستوى الشخصى- لبضع سنوات أحث المثقفين التقدميين على استخدام وسائط الاتصال الجديدة مثل الإذاعة، وكنت أشارك فى برنامج تليفزيونى فى أوستين بولاية تكساس منذ عام ١٩٧٨. وكانت فكرتى آنذاك هى أن الإذاعة، والتليفزيون، وغيرهما من وسائط الاتصال الألكترونية كانت تخلق مجالات عامة جديدة للجدل، والنقاش، وإتاحة المعلومات، وأن المثقفين التقدميين الذين يرغبون فى أن يكونوا حيث يكون الناس، وأن يتواصلوا مع الجمهور العام، وأن يشاركوا فى شئون مجتمعهم العامة عليهم تعاطى مثل هذه التكنولوچيات وتطوير توجه سياسى اتصالى جديد، ومشروعات جديدة تتعلق بوسائط الاتصال.

يمكن الزعم- فى هذا السياق- أن انتصار ريجان واليمين فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ كان وراءه استخدام اليمينيين الفعال للتليفزيون، والإذاعة، والفاكس، والاتصال عن طريق الكمبيوتر، والبريد المباشر، والهواتف، وغيرها من الاستخدامات السياسية

كلينتون فى واشنطن

المعقدة للتكنولوچيات الجديدة. فضلاً عن ذلك يمكن الزعم أيضًا أن انتصار كلينتون على بوش عام ١٩٩٢، والنجاح المذهل لحملة بيرو Perot كان وراءه الاستخدامات الفعالة لتكنولوچيات الاتصال. كذلك كانت الحال مؤخرًا فى الولايات المتحدة حيث يمكن إرجاع نجاح الجمهوريين والجناح اليمينى فى انتخابات ١٩٩٤ إلى توظيفهم للأحاديث الإذاعية، ونشرات البيانات التى توضع على الكمبيوتر، وغيرها من التكنولوچيات الأخرى.

بناء على ذلك أزعم أن التوظيف الفعال للتكنولوچيا هو أمر جوهرى فى السياسة المعاصرة، وأن المثقفين الراغبين فى المشاركة فى المجالات العامة الجديدة بحاجة إلى التعامل مع وسائط الاتصال الجديدة للمشاركة

فى الجدل الديمقراطى، وتشكيل مستقبل المجتمعات والثقافة المعاصرة. إن الفكرة التى أطرحها هنا هى أن وسائط الاتصال الباكرة مثل الإذاعة والتليفزيون، والوسائط الحديثة مثل الكمبيوتر تمخض عن مجالات وفضاءات عامة جديدة للمعلومات والجدل والمشاركة تنطوى على إمكانات تفعيل الديمقراطية وزيادة نشر الأفكار النقدية والتقدمية، هذا فضلاً عن احتمالات جديدة للسيطرة والتحكم الاجتماعى. إلا أن المشاركة فى هذه المجالات العامة الجديدة - التى تشمل نشرات البيانات الموضوعية على الكمبيوتر، وجماعات النقاش، والأحاديث الإذاعية، والتليفزيونية، وما أسميته ديمقراطية الفضاء الاتصالى Cyberspace democracy، يستلزم من المثقفين أن يكتسبوا مهارات تقنية جديدة، والتمرس على التكنولوجيات الجديدة.

هكذا أرى أن المثقفين فى اللحظة الحاضرة يجب أن يتمرسوا على تكنولوجيات جديدة فى إطار العلاقة الحميمة بين المثقفين والتكنولوجيا بالمقارنة مع ماكانت الحال عليه فيما سبق. أن تكون مثقفًا فى اللحظة الحاضرة يتطلب الأمر استخدام قوى الإنتاج الأكثر تقدمًا بغية بلورة الأفكار وترويجها، والاضطلاع بالبحث والمشاركة فى الجدل السياسى، والمجالات العامة الجديدة التى تمخضت عنها تكنولوجيات الإذاعة والكمبيوتر. من ثم على المثقف العام الجديد أن يحاول تطوير استراتيچيات تمكنه من استخدام هذه التكنولوچيات بهدف الوقوف فى وجه التسلط، والارتقاء بالتعليم، والديمقراطية، والصراع السياسى، أو أية أهداف أخرى يرجى تحقيقها. ينطوى هذا الطرح على علاقة عضوية بين مصير المثقفين، وقوى الإنتاج التى يمكن أن تستخدم- كما كانت الحال دائمًا- لغايات محافظة أو تقدمية.

لقد ظل المثقفون النقديون لبضعة عقود يستخدمون تكنولوچيات الإذاعة

لتطوير صيغ بديلة للثقافة والمعلومات، أما اليوم يقوم المثقفون الشباب باستخدام الكمبيوتر باعتباره مصدرًا جديدًا للمعرفة، والتعبير والنقاش. إن تكنولوچيات الكمبيوتر- بمعنى من المعانى- تنحو نحوًا أكثر ديمقراطية، وتمكينًا empowering من تكنولوچيات الاتصال السابقة التى اتسمت بقدر كبير من المركزية، ومن ثم لم تكن فى متناول الجماهير، وهو ما جعلها تكرس نمطًا اتصاليًا أحاديًا يسير فى اتجاه واحد من أعلى إلى أسفل. إن تكنولوچيا الكمبيوتر بما تتسم به من انتشار بين الجماهير تنطوى على درجة أكبر من اللامركزية، ومن ثم فهى سهلة المنال، وقادرة على تمكين الأفراد empowering، والارتقاء بالجدل والنقاش الديمقراطيين.

وهكذا، فإن المثقف النقدى العام إذا ما رغب فى المشاركة فى المجالات العامة الجديدة التى يتيحها مجتمع التكنولوچيا المتقدمة عليه أن يتقن استخدام التكنولوچيات الجديدة حتى يتحول إلى مثقف فاعل قادر على المشاركة فى بعض المجادلات والمناقشات التى يموج بها المجتمع فى اللحظة الآنية. إن المثقف العام فى وقتنا الحاضر عليه أن يتعلم كيف يستخدم الكمبيوتر، وإمكانات الڤيديو، وغيرها من التكنولوچيات حتى يتمكن من التواصل مع جمهور واسع، وأن يؤدى دوره كمثقف نقدى يسعى إلى دفع الديمقراطية، وإحداث تغير اجتماعى تقدمى. يستدعى هذا بالضرورة تعديل تصورنا عن ماهية المثقف وإدراك العلاقات الوثيقة بين المثقفين وضرورة التمرس على تكنولوچيا الاتصال كما كانت الحال فيما مضى.

إن المثقفين التقليدين من أصحاب النزعة الإنسانية الهيومانية humanist والمعادين للتكنولوچيا لن يقبلوا - بطبيعة الحال- مثل هذه الأطروحات كما أن العديد ممن يعدون أنفسهم تقدميين سيستبعدون هذه

الأطروحات ذاتها واسمين إياها بالنخبوية واليوطوبية، ولكننى أرى أن الطرح الذى يقدمه هؤلاء زاعمين من خلاله أن معظم الأفراد لا يملكون أجهزة كمبيوتر، ولايشاركون فى نقاشات تتم عبر الكمبيوتر إنما هو طرح فى طريقه إلى التهافت لأن أجهزة الكمبيوتر تنتشر الآن فى المدارس، وتشكل جزءًا من الاحتياجات المنزلية للمستهلك مثلها مثل التليفزيون والراديو والثلاجة، والهاتف، وغيرها. إن عدد المنازل التى بها أجهزة تليفزيون فى الولايات المتحدة - على سبيل المثال - أكثر من تلك التي بها دورات مياه داخلية، وهو مايعنى انتشار أجهزة التليفزيون بنسبة ٩٩٪. توجد أيضًا إحصائيات تشير إلى أن أجهزة الڤيديو كاسيت تنتشر فى المنازل الأمريكية بنسبة ٨٠٪، وقبل حلول نهاية القرن ستنتشر فى كافة بقاع الأرض.

ومن الواضح أن حال أجهزة الكمبيوتر ستصبح شبيهة بذلك. على مدار أعوام عديدة ماضية ظللت أنظم ورش عمل فى جميع أنحاء الولايات المتحدة للطلبة، ومعلمى المدارس الثانوية، ولاحظت أثناء ذلك الاختراق السريع لتكنولوچيات الكمبيوتر للمدارس على كافة المستويات، كما لاحظت أيضًا أن المؤسسات الأمريكية تتبرع بأجهزة الكمبيوتر القديمة لديها للمدارس الفقيرة (لتخفيف الضرائب عن نفسها)؛ وهكذا أصبح الكمبيوتر أداة تعليمية أساسية فى كل الفصول، وكافة المناطق. حتى الحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة يقترح إعطاء كل عائلة جهاز كمبيوتر حتى تتمكن من الاتصال بطريق المعلومات السريع information super highway؛ كذلك أظهرت الدراسات الحديثة عن فرص العمل أن الشباب لن يتمكنوا من الالتحاق بقوة العمل دون إتقان مهارات الكمبيوتر، وهو ماسيجعل دراسة الكمبيوتر جزءًا جوهريًا من تعليم المستقبل.

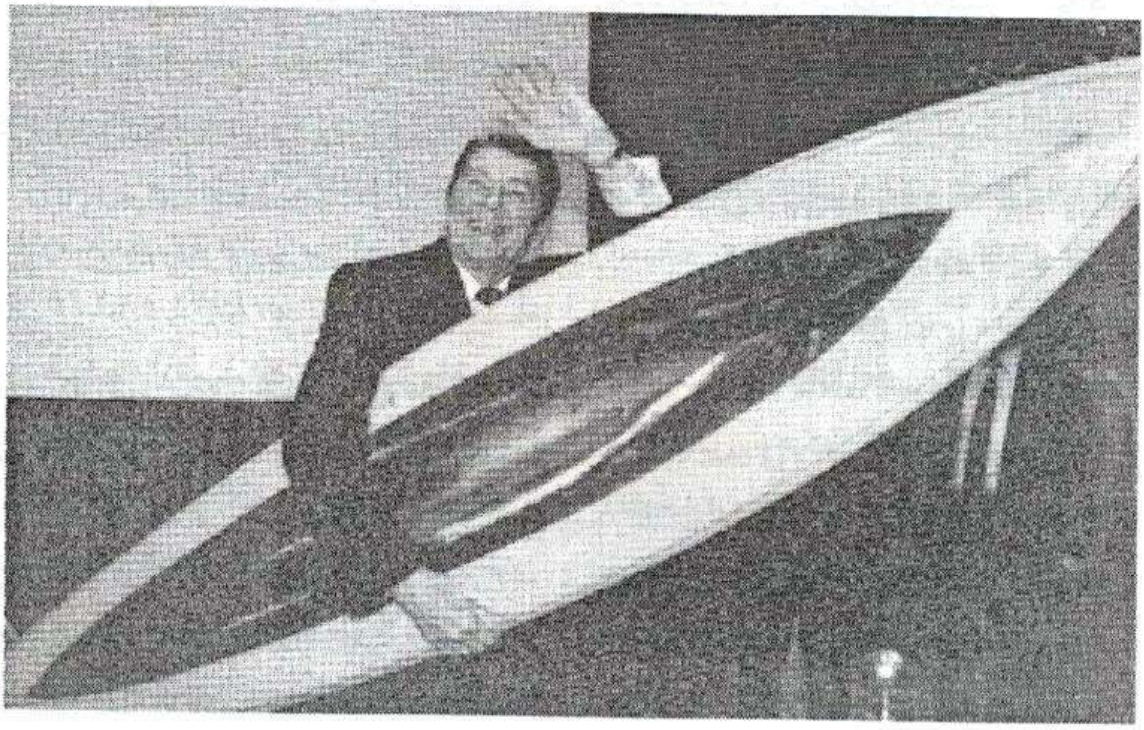

رونالد ريجان

إن تكنولوچيات الكمبيوتر ستصبح فى هذا الإطار شديدة الأهمية بالنسبة للمنزل، والعمل، والتعليم، ومن ثم سيضطر المثقفون- إذا صحت فرضيتى- إلى إتقان هذه التكنولوچيات. فضلاً عن ذلك تزايد انتشار الأقراص الممغنطة CD.ROMS فى المدارس الحكومية وغيرها من المدارس فى الولايات المتحدة على نحو يجعل منها - جنبًا إلى جنب النصوص التى توضع عن طريق الكمبيوتر- عونًا كبيرًا للكتاب، وهذا بدوره يفرض على المثقفين الذين يرغبون فى المشاركة فى سياسة وثقافة بلدهم تعلم كيفية إنتاج الأقراص الممغنطة ***CD.ROMS***، (٣) أو على الأقل استخدام تقنيات الكمبيوتر فى بحثهم، وكتابتهم، ونشرهم لأفكارهم. واقع الحال أن نشر التكنولوچيات الإلكترونية من خلال شركات النشر الكبيرة سيخرج الكتب، والمجلات خارج الزمن، لكى

تحل محلها المجلات الألكترونية الموضوعة على شبكة الإنترنت، وقواعد البيانات.

أشير هنا إلى أن المادة البحثية اللازمة لكتابة اثنين من أحدث كتبى *(Kellner1992 and,1995)* مستقاة من قواعد البيانات تلك التى أقضى أمامها وقتًا أطول مما أقضيه فى المكتبات إعدادًا لمشروعات بحثية متنوعة. كذلك فإن النقاشات التى تجرى عبر الكمبيوتر تنطوى على أكثر القضايا حيوية فيما يتعلق بنظرية الاتصال، والسياسة العامة؛ وأنا شخصيًا أشارك أيضًا فى مناقشات حية حول الثقافة الشعبية، والسينما، وموسيقى الروك، وغيرها من مجموعات المناقشة، كما أشارك أيضًا فى نقاشات نظرية تدور حول ماركس أو نظرية مابعد الحداثة، وبودريار، وغيرها من الموضوعات. إن هذه المجموعات- التى تنطوى أيضًا على نقائص- تسمح بالتوصيل الفورى لأفكار المرء دون وساطة حراس البوابات، أو كلاب الحراسة هذا فضلاً عن تقويضها للتراتبيات ***hierarchies*** بين الأساتذة والطلبة، بين الأساتذة الذين يتمتعون بمكانة راسخة داخل الجامعة، وأولئك الذين لم يرسخوا أقدامهم بعد، وغيرها من التراتبيات التى تهيكل التواصل الأكاديمى. وهكذا نجد أن جماعات المعلومات والنقاش المتعددة تقوم على نحو متزايد بتأسيس أرشيفات تسمح للمرء أن يمعن النظر فى نصوص ومناقشات بعينها، بل وإنزال المادة المعلوماتية الحديثة على الكمبيوتر الشخصى.

وواقع الحال أن هناك أرشيفات عديدة متخصصة فى موضوعات مثل شكسبير، وماركس، ونظرية مابعد الحداثة، وغيرها من الموضوعات، هذا فضلاً عن الجرائد والمجلات التى تتيح الحصول الفورى على كميات هائلة من المعلومات- دون مقابل حتى هذه اللحظة- لأولئك الذين يعملون بالجامعة أو الحكومة. كما يمكن للمرء

أيضًا أن يزور معارض المتاحف، والمكتبات المتخصصة، وأرشيفات الحكومة، والعديد من المواقع من خلال شبكة الإنترنت وغيرها من السبل التى يوفرها الكمبيوتر. واقع الأمر أن الكفاح من أجل المزيد من الحصول المجانى على قواعد البيانات والمعلومات، وخدمات الاتصال يمثل - كما أزعم فى القسم التالى من الدراسة- قضية سياسية مهمة خصوصًا إذا تعلق الأمر بالمستقبل.

وهكذا فأن يكون المرء مثقفًا فى مجتمعات التكنولوچيا المتقدمة الناشئة يتطلب مهارات جديدة، وإتقان تكنولوچيات جديدة، والمشاركة فى مجالات عامة جديدة. هذه العملية تتطلب بدورها توسعًا فى الأدوار والوظائف التى يضطلع بها المثقف، وزيادة مساحة مجالات المشاركة لديه وطرحه على نفسه تحديات واحتمالات جديدة، مع تجنب الفخاخ والأوهام الجديدة. وأود فى الأقسام التالية من الدراسة أن أقترح بعض هذه التحديات الجديدة، ولكن أود بداية أن أؤكد على قناعتى الكاملة بالوظائف التقليدية للمثقف من قبيل القراءة، والكتابة والحديث، والتعليم، والتفاعل فى لقاءات مباشرة. إن التكنولوچيات الجديدة والمجال العام لن تحل محل الإمكانات سالفة الذكر إنما تدعمها وتكملها، ولازلت شخصًا ملتزمًا بهذه الأدوار التقليدية كالقراءة، وكتابة الكتب، والمقالات، وماشابه بالإضافة إلى اللقاءات المباشرة مع الآخرين كما يحدث فى التدريس والمحاضرات التى ازدادت فى السنوات الأخيرة بالنسبة لى عما كانت عليه الحال منذ سنوات. إلا أن حتى أدوارنا كأساتذة وكتاب ونشطاء ثقافيين، بالمعنى التقليدى، يمكن الارتقاء بها من خلال التكنولوچيات الجديدة التى يجب النظر إليها باعتبارها ملاحق أساسية للأنشطة التى نضطلع بها، والتى تطرح بدورها تحديات واحتمالات جديدة.

مهام جديدة للمثقف العام

انطلاقًا مما طرحه سارتر أقترح هنا توسيع وإعادة تعريف دور المثقف العام الانتقادى والمعارض الذى يشارك فى القضايا، والجدالات المحورية التى تسود فى اللحظة التى يعيشها. واقع الحال أن المثقف الديمقراطى، أى ذلك المثقف الذى يرغب فى دفع عجلة الديمقراطية، يجب أن يشارك فى المجالات العامة التشاركية والتفعيلية كأن يشارك فى الأحاديث التليفزيونية والإذاعية، ونشرات البيانات، وغيرها من المجالات المختلفة التى تتيحها ديمقراطية الفضاء الاتصالى الناشئة. أعنى تمامًا أن هذه التكنولوچيات ليست بعد متاحة للجميع، من ثم يمكن أن تشكل الأساس لعملية تقسيم اجتماعى بين من يملكونها ومن لا يملكونها. ولذا أرى أننا يجب أن نشرع فى التفكير حول عواقب التكنولوچيات الجديدة الناشئة، وكيفية استخدامها لتمكين *empower* الناس، ودفع عجلة الديمقراطية، وإحداث التغير الاجتماعى التقدمى، فضلاً عن المشكلات والتقسيمات الاجتماعية الجديدة التى تتمخض عنها هذه التكنولوچيات.

إن تأمل الأدوار التى تضطلع بها وسائط الاتصال، وتكنولوچيات الكمبيوتر فى السياسة المعاصرة يحول انتباهنا إلى الأهمية القصوى للمهام التى تنتظر المثقفين الانتقاديين، وهى مهام كثيرًا ما تعرضت للإهمال والتجاهل أمام خضم الاضطراب الذى تتسم به اللحظة الحاضرة. فمن الوجهة الإيجابية نعيش لحظة زمنية مثيرة تطرح فيها وسائط الاتصال، وتكنولوچيات الكمبيوتر الجديدة إمكانات جديدة للاتصال، والتعبير الثقافى، وطرائف الحياة اليومية- على الأقل بالنسبة للأفراد الذين يتمتعون بامتيازات استخدام التكنولوچيات الجديدة. إلا أننا لا يجب أن نغفل حالة البؤس التى تعانيها الغالبية العظمى من الأفراد، ومن ثم يجب أن نناضل حتى يحصل هؤلاء على ما

حصل عليها، غيرهم من أصحاب الامتيازات *(kellner1995)*. فضلاً عن ذلك نحن بحاجة إلى أن نتصالح مع ثقافتنا ومع تلك التكنولوچيات الجديدة بشكل واع، كما نحتاج إلى ابتداع السبل اللازمة لاستخدامها بغرض الارتقاء بحياتنا، و إتاحة هذه التكنولوچيات للجميع. يتطلب ذلك كله تأملاً لوسائط الاتصال والتكنولوچيا، والتحديات والمشكلات التى يجابهها المرء الذى يعيش فى مجتمع الاتصال/التكنولوچيا الجديد. ومع أخذ ذلك فى الاعتبار أقترح هنا أن تهتم وسائط الاتصال والدراسات الثقافية بمعالجة موضوعات مختلفة خاصة بتوسيع أفق النشاط الذى يضطلع به المثقفون الانتقاديون فى اللحظة الحاضرة.

المثقفون المتمردون والتكنولوچيات الجديدة

أود أيضًا أن أؤكد على أن المثقفين المتمردين على السلطة- على اختلافهم- يستخدمون هذه التكنولوچيات الجديدة، والمجالات العامة فى صراعاتهم السياسية، فالفلاحون الأجراء والجيوش المعارضة التى تناضل فى *Chiapis* بالمكسيك قد استخدموا منذ البداية قواعد البيانات، والإذاعات المعارضة، وغيرها من أشكال وسائط الاتصال للترويج لقضيتهم وأفكارهم. إن كل بيان أو نص أو نشرة بيانات كتب فى *Chiapis* تم توزيعها على كل أنحاء العالم من خلال شبكات الكمبيوتر. فى اللحظة التى أراجع فيها هذه الدراسة (يناير ١٩٩٥) تتخذ الحكومة المكسيكية تحركات مناهضة لتلك الحركة المتمردة التى تعتمد على شبكات الكمبيوتر لتعبئة الأفراد والجماعات عبر العالم وإمدادهم بالمعلومات حتى يدعموا صراعهم ضد الحكومة المكسيكية وما تتبعه من أساليب قهرية.

فيما مضى كانت أشرطة الكاسيت تستخدم فى دعم الثورة فى إيران، وفى إتاحة المعلومات البديلة التى

تنشرها الحركات السياسية حول العالم. ينطبق الأمر كذلك على حركة الديمقراطية بالصين، والجماعات المختلفة التى تكافح ضد فلول الستالينية فى الكتلة الشيوعية السابقة والاتحاد السوفيتى، حيث استخدمت هذه الجماعات نشرات البيانات وغيرها من أشكال الاتصال لترويج قضاياها. وهكذا فإن استخدام التكنولوچيات الجديدة للربط بين النظرية والممارسة، والترويج للصراعات السياسية ليس أمرًا بعيدًا عن الصراع السياسى أو مجرد تفكير يوطوبى.

أيضًا فإن سلسلة الصراعات التى تدور حول الجنوسة والعرق يتم الترويج لها من خلال وسائط الاتصال التكنولوچية الجديدة.

تعقد عام ١٩٩١ فى الولايات المتحدة سلسلة من جلسات الاستماع الخاصة بقضية توماس كلارنس وعدم صلاحيته لعضوية مجلس القضاء الأعلى، وأثناء هذه الجلسات شن توماس هجمات مضادة على المزاعم التى أطلقتها عليه آنيتا هول وأخريات متهمة إياه بالتحرش الجنسى؛ وعندما أخفق مجلس الشيوخ الأمريكى الذى يتشكل أغلبه من الرجال فى إدانة توماس (على الرغم من وضوح التهمة) تحركت جموع النساء فى اتجاه استخدام الكمبيوتر، والتكنولوچيات الأخرى بغية الهجوم على الامتيازات التى يتمتع بها الرجال فى النظام السياسى فى الولايات المتحدة، كما تم استخدام هذه التكنولوچيات فى حث النساء على دعم المرشحات لمجلس الشيوخ من النساء. كان نتيجة ذلك فى انتخابات عام ١٩٩٢ هو انتخاب عدد أكبر من النساء المرشحات أكثر مما كانت الحال عليه فى أى انتخابات سابقة واستبعادًا عامًا للقيادات المحافظة (كنت قد أشرت إلى أن التحول إلى اليمين فى انتخابات ١٩٩٤ كان يرجع أساسًا إلى استخدام العناصر اليمينية المحافظة لوسائط الاتصال وتكنولوچيات الكمبيوتر بشكل أكثر فعالية).

هكذا كان الحال مع المثقفين المتمردين من الأفرو-أمريكيين الذين استخدموا الإذاعة، وتكنولوچيات الكمبيوتر للتعريف بالصراعات التى يخوضونها. قام چون فيسك *Fiske* (١٩٩٤) بوصف بعض المشروعات الإذاعية التى ابتدعها بعض الأفرو-أمريكيين فى إطار حديثه عما أسماه «النضالات التقنية» *techno struggles* فى الوقت الراهن، والدور المحورى الذى تلعبه وسائط الاتصال فى النضالات الحديثة حول قضايا من قبيل العرق والجنوسة. استخدم المثقفون الأفروأمريكيون ممن أسموا أنفسهم «محاربون من أجل المعرفة» الإذاعة، ونشرات البيانات الموضوعة على الكمبيوتر، وغيرها من وسائط الاتصال للترويج لأفكارهم، وللمعرفة النقيضة التى يطرحونها حول عدد من القضايا، وقد نافسوا بذلك التيار السياسى السائد طارحين وجهات نظر وسياسة بديلة. على المنوال ذاته نجد النشطاء السياسيين فى تجمعات السود- مثل أوكلاند، وهارلم، ولوس أنجلوس- يؤسسون ما أسموه الكمبيوتر المجتمعى *Community Computer* ومراكز لوسائط الاتصال يعلمون من خلالها المهارات اللازمة للمرء حتى يصمد أمام الهجوم الكاسح لما يعرف الآن بـ«توسيط الثقافة»* و«حوسبة المجتمع» **.

من ثم يمكن القول إن المثقفين المتمردين على السلطة- على تباينهم- ينزعون فى الوقت الحاضر إلى استخدام التكنولوچيات الجديدة لنشر المعلومات الخاصة بها، وما يواجهونه من أنواع النضال، إن تكنولوچيات الاتصال أصبحت على نحو متزايد فى متناول الشباب والمواطنين من الطبقات المتوسطة؛ ومثل هذه التكنولوچيات لابد أن تستخدم للارتقاء بعملية التعبير الديمقراطى عن الذات ودفع عجلة التغير الاجتماعى؛ ومن ثم يمكن القول إن التكنولوچيات التى استخدمت على نحو تقليدى لإعاقة الديمقراطية من خلال تحويل

السياسة إلى فرجة إعلامية، وإلى معركة صور، هذه التكنولوجيات ذاتها يمكن استخدامها لدعم المشاركة والجدل الديمقراطيين.

وسائط الاتصال والفعالية الثقافية:

إن وسائط الاتصال الانتقادية *Critical media* والدراسات الثقافية *Cultural studies* أهملت عملية تطوير استراتيجيات وممارسات تدعم مشاركة وسائط الاتصال فى المجال العام، وتهدف إلى إنتاج وسائط اتصال بديلة. لم تول دوائر الدراسات الثقافة الكثير من العناية للكيفية التى يمكن أن تتحول بها الإذاعة والتليفزيون، والسينما وغيرها من الوسائط إلى أدواتها للتنوير والتقدم الاجتماعيين. كانت الحال كذلك مع مدرسة فرانكفورت التى بدا أنها تنظر بعين الشك إلى تكنولوجيات وسائط الاتصال التى اعتبرتها واقعة تحت السيطرة التامة للمؤسسات الرأسمالية. واقع الأمر أن تصور مدرسة فرانكفورت كان صحيحًا بشكل أو بآخر خصوصًا إبان فترة تشكل النظريات الكلاسيكية الخاصة بالصناعات الثقافية. إلا أن إخفاق وسائط الاتصال والدراسات الثقافية اليوم فى معالجة قضية وسائط الاتصال البديلة (٥) هو أمر باعث على الحيرة ولايمكن أن نختلق له الأعذار فى ذات الوقت، ذلك أننا نجد اليوم قنوات متباينة للسينما البديلة، إنتاج الفيديو، والإذاعة المجتمعية، ونشرات البيانات الموضوعة على الكمبيوتر، وملتقيات النقاش، وغيرها من أشكال الاتصال التى يمكن فى إطارها أن يشارك المثقفون التقدميون.

من ثم يجب على نظرية وسائط الاتصال أن تعنى بمناقشة الكيفية التى تتحول بها وسائط الاتصال والثقافة إلى أدوات للتنوير والتقدم الاجتماعيين. وهذا بدوره يتطلب التركيز على وسائط الاتصال البديلة بشكل أكبر مما كانت الحال عليه فى الماضى، كما يتطلب الأمر كذلك التفكير فى الكيفية التى يمكن بها

إعادة صياغة تكنولوچيا الاتصال واستخدامها لتمكين *empower* الأفراد. يتطلب الأمر كذلك تطوير استراتيچيات المشاركة فى البرامج التليفزيونية الجماهيرية، والإذاعة المجتمعية، ونشرات البيانات، وغيرها من المجالات الناشئة الآن. وحتى يتسنى لنا تمكين الأفراد لابد من تزويدهم بالمعرفة المتعلقة بإنتاج وسائط الاتصال والسماح لها بإنتاج وسائط اتصال يمكن نشرها بين الجمهور. إن التوسع فى النضال السياسى- الثقافى من خلال وسائط الاتصال يمكن أن يسهم بشكل دال فى دفع عجلة الديمقراطية، وانتشار التوجهات المتباينة *proliferation*، وإتاحة الفرصة للأصوات التى تعرضت للإسكات والتهميش بأن يكون لها حضورها.

إن المجالات العامة الجديدة والتكنولوچيات تتمخض عن أدوار، ووظائف جديدة للمثقفين. كذلك فإن ثقافة الكمبيوتر ووسائط الاتصال تتمخض عن فضاءات اتصالية جديدة بحاجة للاستكناه والحصر، هذا فضلاً عن المجالات الجديدة للصراع و المشاركة السياسيين. إن المثقفين الجدد الذين يعبرون عن ثقافة الاتصال *Cyberintellectuals* فى اللحظة الحاضرة قد لا يشبهون المثقفين العضويين *organic* الذين يمثلون طبقة ما *intellectnals* لأنهم يتحولون إلى مثقفين-تقنيين يعبرون عن *Technointellectnals* الجديد من التكنولوچيات، والخبرات الثقافية، والفضاءات الجديدة، وهؤلاء المثقفون يستكشفون العوالم الجديدة التى ابتدعتها ثقافة وسائط الاتصال، والثقافة التقنية. إن هذه التكنولوچيات يمكن أن تكون أدوات للتسلط أو التحرر، التحكم أو التنوير الاجتماعى، والأمر متروك هنا للمثقفين الناشطين فى الحاضر والمستقبل أن يحددوا الكيفية التى سيوظفون بها هذه التكنولوچيات الجديدة، والمصالح التى ستخدمها.

إن سياسة وسائط الاتصال ذات التوجه الديمقراطى ستولى اهتمامها لوسائط وتكنولوچيات الكمبيوتر بحيث تخدم مصالح الناس، وليس النخب الكبيرة. ومن ثم ستسعى هذه السياسة سعيًا حثيثًا إلى التأكيد على استخدام هذه الوسائط فى إعلام وتنوير الأفراد وليس التحكم فيهم، كما ستسعى هذه السياسة إلى تعليم الأفراد كيفية استخدام هذه التكنولوچيات لاستنطاق خبراتهم ومصالحهم، وخلق جدل وتنوع ديمقراطيين، وهو مايسمح بوجود تعددية فى الأصوات والأفكار التى تصبح بدورها جزءًا من الديمقراطية الاتصالية فى المستقبل.

وسائط الاتصال والسياسات الثقافية

تكتسب وسائط الاتصال والسياسات الثقافية (٦) أهمية قصوى بالنسبة لمستقبل الديمقراطية، وذلك أكثر من أى وقت مضى. ويعنى ذلك طرح عدد من التساؤلات التى ستزداد أهميتها فى المستقبل من قبيل : من الذى سيتحكم فى وسائط الاتصال، وتكنولوچيات المستقبل، ومن الذى سيتنافس على إتاحة وسائط الاتصال للجماهير، ومن الذى سيضطلع بمسئولية هذه الوسائط و تمويلها، وهيكلتها، وماهى أفضل الثقافات الصالحة لاستنبات مفاهيم الحرية الفردية، والديمقراطية، والسعادة الإنسانية. إن نشر تكنولوچيات وثقافة الاتصال يجذب الانتباه إلى أهمية سياسة وسائط الاتصال، والحاجة إلى المشاركة الجماهيرية فى القضايا المتعلقة بمستقبل ثقافة الاتصال فى علاقتها بطرق المعلومات السريعة *information highways*، والترفيه المعلوماتى *information entertainment* تنحصر إحدى القضايا الأساسية فى المستقبل فيما إذا كانت الاتصالات والثقافة سيتم تسليعها (تحويلها إلي سلع) *Commodified* بشكل متزايد أم لا. إن المدافعين عن التلفزة التجارية

فى الولايات المتحدة دائمًا ما يثنون على «التلفزة الحرة»، وهى منتج ملتبس لايصبح متاحًا إلا على حساب السماح لمروجى الإعلانات والمصالح التجارية بأن يكون لهم سلطة واضحة وأولوية على البرامج، بل إن البرامج التليفزيونية الفردية قد يتم تسليعها فى المستقبل، وشراؤها من قبل المؤسسات الكبيرة التى ستصبح مسئولة عن كل شىء. الحال كذلك اليوم بالنسبة لنشرات البيانات الموضوعة على الكمبيوتر وطرق الاتصال على الإنترنت، فهى جميعًا بلا مقابل بالنسبة لأولئك الذين يملكون اشتراكات على الشبكة عن طريق الجامعة أو الحكومة؛ قد يختلف الأمر فى المستقبل حيث قد يتم تسليع كل أشكال الاتصال عن طريق الكمبيوتر، كما هى الحال فى الاتصال التليفونى. المعركة التى نواجهها الآن هى الحيلولة دون تسليع المعلومات والاتصال عن طريق الكمبيوتر، وأن نجعل الإنترنت وغيره من طرق المعلومات السريعة متاحة *information highways* للجميع دون مقابل، وأن نتوسع فى إتاحة الفرصة أمام الجماهير لتلقى البرامج التليفزيونية والإذاعية المجتمعية، ونطور مؤسسات وممارسات ثقافية بديلة يمولها المجتمع أو الدولة، وأن تكون متاحة للناس.

إن الإخفاق فى تناول مسألة الاقتصاد السياسى ومن ثم تطوير سياسة اتصالية داخل الدراسات الثقافية المعاصرة قد يكون هو السبب الرئيسى وراء إغفال القضايا المرتبطة بالسياسة العامة التى ظل تونى بينيت *Tony Bennett* ينتقدها لفترة دون *(grossberg etal 1992,. in)* الوعى بالكيفية التى تتماس بها القوى الاجتماعية الكبيرة (أى طبيعة الصناعة الإذاعية، والسياسة الحكومية تجاه الاتصالات، إلخ) مع الحياة اليومية من الصعوبة بمكان أن

ندرك الصلة بين السياسة العامة، والسياسة الاتصالية من ناحية، وطبيعة نظام الاتصالات، والثقافة فى مجتمع ما من ناحية أخرى. إلا أنه من الأهمية بمكان أن ندرك أهمية السياسة الاتصالية، والكيفية التى يسهم بها نظام وإطار الاتصالات فى مجتمع ما فى تحديد ماهية البرامج والمؤثرات المرجو إنتاجها، وذلك فى لحظة نشهد فيها تكنولوچيات الاتصالات الجديدة وهى تتمخض عن تغيرات درامية فى الثقافة، والنشاط الترفيهى، والحياة اليومية عمومًا.

إلا أن مناقشة السياسة العامة دون وضعها فى سياق النظرية الاجتماعية، والاقتصاد السياسى الذى يحلل التجليات الحالية للسلطة والتسلط ستصبح أمرًا مجردًا لا طائل منه ومفرغًا من المعنى. أثناء فترة تولى ريجان وبوش الحكم (١٩٨٠-١٩٩٢) فى الولايات المتحدة لم تكن هناك أية فرصة حقيقية للمشاركة التقدمية فى السياسة العامة، وذلك على المستوى القومى. ورغم ذلك فإن الظرف السياسى فى ذلك الوقت سمح بالدفاع عن المكاسب الليبرالية التى تحققت فى الماضى فى مقابل الهجمات المحافظة (وأتصور أن شيئًا كهذا حدث أيضًا فى إنجلترا فى أثناء فترة تولى تاتشر وميچور الحكم، وفى دول أخرى كانت الحكومات فيها محافظة).

من ناحية أخرى فإن حقبة الحكم المحافظ شهدت العديد من المشاركات المحلية اللافتة للانتباه، كما شهدت انتشار *proliferating* ثقافات حية بديلة، ونشوء صراعات سياسية قوية- غالبًا ما تكون ذات مضمون ثقافى- على المستوى المحلى. وقد تكون هذه التجربة هى التى أثرت فى سياسات مابعد الحداثة *POSTMODERN* التى أكدت على الصراعات *POLIICS* المحلية *local* وليس الكونية *global*، وإن كان من الأهمية بمكان أن ندرك أهمية كل من الصراعات والقضايا

المحلية والقومية. يمكن للمرء على المستوى المحلى أن يحدث تأثيرًا واضحًا، وإن كانت المشاركة على المستوى القومى مهمة هى أيضًا، تمامًا مثلما هو الحال فى المشاركة فى السياسة العامة التى تتبنى الإصلاح على أى مستوى. إن تغافل الدراسات الثقافية النقدية، ودراسات الاتصال عن السياسة الثقافية هو أمر باعث على الإحباط، وعلامة على إفراغ الحياة الثقافية فى اللحظة الحاضرة من مضمونها السياسى *depolticalization of intellectual life.*

المثقف النقدى الجديد:

وهكذا يتبين لنا أن المثقفين النقديين يواجهون بعض المهام المستقبلية المهمة، وأنهم بمقدورهم أن يصبحوا جزءًا من عملية تمكين وتنوير الأفراد؛ بديل ذلك أن يتجاهل المثقفون التكنولوچيات الجديدة وتأثيرها وإمكاناتها، ومن ثم يحكموا على أنفسهم بالتلاشى والنسيان. ورغم ذلك أؤكد للمرة الثانية على أن العديد من وظائف المثقف النقدى الكلاسيكى لازالت ذات فاعلية، ولها ضرورتها أكثر مما مضى. إن أسئلة محورية تتعلق بمستقبل مجتمعات الاتصال والكمبيوتر لابد من طرحها: على أى نحو ستصمم الاتصالات، والانتفاع ببروتوكولات النقاش والجدل الديمقراطيين؟ وعلى أى نحو سيتم نشر المعلومات وتوزيعها؟

وهكذا مازالت الوظائف النقدية والمعيارية التى يضطلع بها المثقفون ضرورية فى اللحظة التى نلج فيها مجتمعًا ينطوى على تباين وصراع بين وسائط الاتصال أكثر مما كان فى مجتمعات الماضى. إن التساؤلات المتعلقة بمعايير ومبادىء النقد والنقاش، والحرية والحقوق المتوازنة، وكيفية تطوير الديمقراطية- أو ما يؤدى إلى اكتمال ديمقراطية أصلية- ستغدو أكثر اشتعالاً فى المرحلة

القادمة، بل واقع الحال يقول إن هذه القضايا أصبحت موضع جدال كل يوم على الكمبيوتر من خلال نشرات البيانات التى تنشر أفكارًا ومعلومات أكثر حيوية وتأثيرًا مما تنشره وسائل الإعلام المطبوعة والمذاعة.

بالإضافة إلى ذلك فإن محو أمية القراءة والكتابة مازال أمرًا جوهريًا أضف إلى ذلك محو الأمية فيما يتعلق بالكمبيوتر (٧) ووسائل الاتصال. إن نشر التعليم، وإنتاج مواطنين ديمقراطيين يستلزم محو الأمية القرائية، والأمية فى مجال الكمبيوتر. إن الحاجة إلى المهارات التقليدية من قبيل القراءة والكتابة، والتعبير، والتفكير النقدى أصبحت من الضرورة بمكان أكثر من أى وقت مضى خصوصًا فى حقبة تتسم بانفجار معلوماتى، وهو مايؤكد الأهمية المتزايدة للقراءة والكتابة كعاملين محوريين للنجاح التعليمى والمهنى. إن القدرة على التمييز بين الأطروحات الصادقة وغير الصادقة، والتمييز بين المعلومات الدقيقة، وتلك غير الدقيقة، والتفرقة بين الحقيقة والدعاية ستظل لها أهميتها، ومن ثم لا يعقل أن نتحدث عن استبعاد الكتب و المهارات التقليدية للمثقف، وإنما التوسع فى هذه الجوانب وربطها بالتكنولوچيات الجديدة، والمجالات العامة الجديدة.

قد يدافع المرء عن قيم وأنشطة تقليدية معينة تتعرض للهجوم من جانب التكنولوچيات الجديدة؛ فبعض صور النقد الموجهة إلى البريد الإلكترونى والاتصال عن طريق نشرات البيانات قد يثير تفكيرنا ويحفزنا على تشجيع الاتصال من خلال الحفاظ على ونشر المهارات التقليدية فضلاً عن ذلك فإن الصيغ الجديدة للتواصل عبر الكمبيوتر قد تخلق مجالاً عامًا جديدًا ينطوى على درجة أقل من النخبوية، والتقعر اللذين وسما الثقافة الأكاديمية فى العقود الأخيرة، وإن كانت التكنولوچيات

الجديدة- من ناحية أخرى - قد تعيد إلى الحياة نظريات ميتة ومهجورة، وتواصل ترويجها للغات نظرية لا تفهمها إلا فئة معينة، وهو مايؤدى بدوره إلى دعم مصالح النخب الأكاديمية، ورأسمالها الثقافى.

واحدة من الفضائح التى كشفت عنها العقود الماضية تتلخص فى مفارقة مؤداها أنه فى اللحظة التى كان يتعرض فيها الاقتصاد والسياسة، والمجتمع، والثقافة لتغيرات هائلة- على المستويين الكونى والمحلى- كان العديد من المثقفين الأكاديميين يتشرنقون داخل خطاب نظرى بالغ الإلغاز، وداخل لغات أكاديمية غاية فى التخصص، وقد شاركت شخصيًا فى هذه الألعاب الكلامية *discourse* وأعتقد أن النظرية يمكن أن تكون ذات جدوى فى العديد من المجالات الأكاديمية والعملية، وإن*domains* كنت أرى أيضًا أن هناك ضرورة ملحة فى اللحظة الحاضرة للبحث عن خطاب مشترك، ولغة عامة متاحة للجميع، وفكر بين يستجليه تعبير شفيف، ومن ثم يلزمنا أن نعى أن مسئولية المثقفين اليوم هى مخاطبة المواطنين العاديين بلغة يفهمونها.

حقيقة الأمر أن التغيرات التكنولوچية الحادثة فى اللحظة الحاضرة قد بلغت آفاقًا بعيدة، ومن ثم تلزمنا بإعادة التفكير فى كل شىء: دور المثقف، وطبيعة الديمقراطية، وشكل المجتمع الجيد، والحياة الجيدة. أصبح كل من النظرية والسياسة موضوعًا للمعالجة العشوائية فى اللحظة الحاضرة، ومن ثم يلزم على المثقف العام (وهو مثقف المستقبل) أن يبتدع لغات واستراتيچيات للتواصل توظف التكنولوچيات الجديدة والمجالات العامة التى يتيحها العصر الحالى، وذلك بفرض إعادة تعريف مفهوم المثقف والسعى الحثيث نحو مستقبل أفضل.

هوامش المؤلف

١- للتعرف على الصيغ المتباينة - والمتصارعة فى غالب الأحيان- لسياسة مابعد الحداثة أنظر الدراسة المسحية التى أجراها *Best and Kellner 1991*.

٢- وضع سارتر تصورًا عن الكاتب والمثقف الملتزم فى نصه المعنون ***ما الأدب*** (١٩٦٢) طور فيه نموذجًا للمثقف الملتزم باعتباره منحازًا للحرية ضد القهر. فى إطار الهجوم العنيف الذى تعرض له سارتر من جانب البنيويين ومابعد البنيويين (من أمثال ليڤى ستروس، ولاكان، وفوكو، وديريدا، وليوتار، إلخ) لم يلحظ الكثيرون أن سارتر كان له تأثير هائل على هؤلاء فضلاً عن تأثيره على من ارتبطوا بفكره بشكل أوثق.

٣- انتهيت لتوى من إتمام قرص ممغنط *C.D.ROM* عن الفيلم الذى قدمه إميل دى أنتونيو *Emile de Antonio* بعنوان مصورون يبدعون ***Painters Painting*** وكم كانت سعادتى بالإمكانيات التى تتيحها هذه التكنولوچيا. لم يسمح القرص الممغنط فقط بتخزين الفيلم بالنظام الرقمى digitization، وإنما أتاح لى أيضًا تسجيل المدونات transcripts الكاملة للمقابلات التى أجراها أنتونيو مع المصورين، وتأملاته فى هذا الفيلم التى سجلها فى مذكراته، وعلاقاته بالمصورين الكبار فى هذه المرحلة، والمراجعات التى كتبت عن الفيلم، هذا بالإضافة إلى المقابلات المسجلة مع أنتونيو على الڤيديو، وغيرها من المواد التسجيلية، والتى شكلت جميعًا أرشيفًا كاملاً عن التصوير الأمريكى فى حقبة مابعد الحرب العالمية الثانية.

٤- هذا المقتطف مأخوذ عن والتر بنيامين (١٩٦٩). إن بودريار على وجه الخصوص لاينظر بعين الاحترام إلى وسائط الاتصال البديلة.

٥- للتعرف بشكل أكثر تفصيلاً على وسائط الاتصال البديلة أنظر Kellner 1979,1985,and 1990

٦- للتعرف على وسائط الاتصال فى علاقتها بسياسة الاتصال فى الوقت الراهن أنظر Schiller 1989 and Kellner 1990

٧- للتعرف على محو الأمية الاتصالية أنظر ;Giroux 1992 and 1994 Mclaren hammer, et.al.1995;and Kellner 1995 a .

هوامش المترجم

* دوجلاس كيلنر هو أستاذ الفلسفة والعلوم الاجتماعية، والمعلوماتية بجامعة كاليفورنيا-لوس أنجلوس؛ وقد شغل كرسى علم الاجتماع فى العديد من الجامعات المرموقة منها كولومبيا، وكاليفورنيا، وتكساس، وباريس، وكوبنهاجن، وتوبنچن. له العديد من الدراسات فى مجالى علم اجتماع الثقافة وعلم اجتماع الفنون منها : ***العاطفة والتمرد: تراث المدرسة التعبيرية*** (١٩٨٨) ***هيربرت ماركيوز وأزمة الماركسية*** (١٩٨٤)، ***بوليطيقا الكاميرا : السياسة والأيديولوچيا فى سينما هوليوود المعاصرة*** (١٩٨٨)، ***تشى چيفارا*** (١٩٨٨)، ***مابعد الحداثة/ياميسون/ تحليل نقدى*** (١٩٨٩)، ***چان بودريار : من الماركسية إلى مابعد الحداثة ومابعدها*** (١٩٨٩)، ***التليفزيون وأزمة الديمقراطية*** (١٩٩٠)، ***نظريات مابعد الحداثة: مساءلات نقدية*** (١٩٩١)، ***حرب الخليج التليفزيونية*** (١٩٩٢)، ***ثقافة وسائط الاتصال: الدراسات الثقافية، والهوية، والسياسة بين الحديث ومابعد الحديث*** (١٩٩٥) المقال المنشور هنا هو إحدى دراسات هذا الباحث الموجودة على شبكة الإنترنت : عنوان الصفحة هو : http://www.gscis.vcla.edu.

** مصطلح المجال الجماهيرى أو مجال العامة public sphere من وضع الفيلسوف الألمانى يورجن هابرماس الذى بلوره فى كتابه الصادر عام ١٩٦٢ تحت عنوان ***التحول البنائى فى المجال العام***. يسعى هابرماس فى هذا الكتاب إلى تحديد ملامح المجال العام الذى تشكل على أيدى الطبقة الوسطى فى أوروبا فى القرن الثامن عشر. المقصود بالمجال العام هنا مجمل القناعات والتوجهات والمنطلقات المشتركة التى تبنتها الطبقة الوسطى وقتذاك، والتى سمحت بالتواصل بين أفراد هذه الطبقة. تنحصر التوجهات التى تحدد ملامح هذا المجال العام (الذى يستخدمه هابرماس فى مقابل المجال الخاص private sphere فى إيمان أفراد الطبقة الوسطى فى أوروبا فى ذلك الوقت بمنجزات التنوير وعلى رأسها مبدأ سيادة العقل. هذه الأرضية الفكرية المشتركة التى تسمح بالتواصل بين أفراد الطبقة الوسطى تعرضت - كما يرى هابرماس- للتشظى فى القرن العشرين، وهو ما أدى بدوره إلى فقدان التواصل بينهم؛ ومن ثم يجب استعادة هذا المجال العام

بعد تحييد هذا التشظى من خلال ما أسماه هابرماس بالعقل التواصلى COMMUNICATIVE REASON.

*** دخل مصطلح gender الذى أفرزته أساسًا الدراسات النسوية feminism اللغة العربية فى أشكال عدة ابتداءً من «نوع»، و «جنس»، و «جنسوية»، و«جنسانية»، و «هوية جنسية»، وانتهاء، «چندرة». إلا أن كلاً من هذه الترجمات يشوبها أحد نقصين: إما الرطانة غير الدالة (چندرة) من جهة، أو التباس دلالة المصطلح المقترح مع دلالة أخرى من جهة أخرى : نوع، جنس (مصطلحان دالان على المعنى البيولوچى)، جنسانية (مصطلح فى التحليل النفسى)؛ أما مصطلحات «جنسوية» (الذى ظل مترجم هذه الدراسة يستخدمه لفترة) و «هوية جنسية» فهما دالان Signifier مختلفان لمدلول Signified واحد أولهما منحوت من «جنس» و «هوية»، وثانيهما ترجمة لمعنى المفهوم. كشف هذان المصطلحان الأخيران- على مافيهما من دقة فى الدلالة- عن مشكلة صرفية تتعلق بصيغة النسبة. أما مصطلح «جنوسة» فهو من وضع كمال أبو ديب فى ترجمته لكتاب إدوارد سعيد ***الثقافة والأمبريالية*** (١٩٩٧)، وكان حافز أبو ديب لوضع المصطلح هو «ابتكار دال مخصص دقيق وجديد لا تلتبس دلالته مع دوال أخرى، وذلك «قياسًا على صيغة صرفية موجودة فى العربية » وهى صيغة «فعولة» التى نسج منها «ذكورة»، «فحولة»، «أنوثة». وقد اكتسب هذا المصطلح شرعيته وتم تكريسه بعد ذلك حين أصدرت مجلة ***ألف*** عددها التاسع عشر عام ١٩٩٩ تحت عنوان ***الجنوسة والمعرفة :٤٩٠ صياغة المعارف بين التأنيث والتذكير.*** تستخدم ***ألف*** هذا الدال الجديد للدلالة على ما أسمته «التشكيل الثقافى والإجتماعى للذكورة والأنوثة»؛ فضلاً عن ذلك يعكس هذا الدال الجديد مرونة صرفية تسمح «باستخدام جنوسى» كصفة، وجنسنه بمعنى إضفاء البعد الجنوسى على حقل ما أو وضع ما، والجنساوى باعتباره المتحيز ضد أحد الجنسين، والجنوسية دلالة على نقل الجنوسة من مستوى المقاربة البحثية إلى مستوى العقيدة الفكرية.

**** الإشارة إلى القرن العشرين.

***** المصطلح الإنجليزى هو mediazation of culture، ويعنى نقل الثقافة، بل وتشكيلها من خلال وسائط الاتصال.

****** المصطلح الإنجليزى هو computerization of society ويعنى تشكيل المجتمع من خلال الكمبيوتر.